أضواء على الإعلام في صدر الإسلام

خصائصه - دعائمه - وسائله
مناسباته - مراكزه

الدكتور محمد عجاج الخطيب
وكيل كلية الشريعة ورئيس قسم علوم القرآن والسنة
بجامعة دمشق سابقاً

مؤسسة الرسالة

أضواء على
الإعلام في صدر الإسلام

الطبعة الثانية

١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م



مؤسسة الرسالة بيروت - شارع سوريا - بناية صمدي وصالحة
هاتف: ٣١٩٠٣٩ - ٢٤١٦٩٢ ص.ب: ٧٤٦٠ برقياً: بيوشران



مقدّمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن اتبعه باحسان إلى يوم الدين.

وبعد فإن موضوع الإعلام في صدر الإسلام موضوع له أهميته العلمية والتاريخية، لما يبنى عليه من آثار جليلة في بيان انتشار الإسلام ـ آنذاك ـ وحسن تبليغه وتطبيقه، لأن تلك الحقبة أساس لما تلاها من عهود مختلفة، فهي قاعدتها الزمانية والمكانية. وتعود دوافع كتابتي في هذا الموضوع إلى مساء يوم ٢٤/ ٧/ ١٣٨٢هـ الموافق لـ ٢٣/ ١٢/ ١٩٦٢، عشية مناقشتي لرسالة الماجستير «السنة قبل التدوين»، على مدرج كلية دار العلوم بجامعة القاهرة ـ أعمرها الله ـ فكان فيما طرحه عليَّ فضيلة استاذي الشيخ علي الخفيف رحمه الله ـ أحد أعضاء اللجنة المناقشة ـ: (نحن نسلم بكل ما قلته، من أن الصحابة رضي الله عنهم في المدينة المنورة قد حفظوا عن رسول الله ﷺ، ووعوا وطبقوا، ولكن ما قولك فيمن كان خارج المدينة، بعيداً عنه في أطراف الجزيرة، ولم تكن هناك وسائل اتصال كما هو في عصرنا الحاضر؟). أو كما قال رحمه الله تعالى، فأجبت عن سؤاله بإيجاز مما أوردته مفصلاً في رسالتي، ووفيت الجواب بما أثلج الصدور، بفضل الله وتوفيقه، ومضت

الأيام، وكثرت الأسفار، أحاضر في هذا الموضوع، وما يدور حوله، وأفصل في بعض جوانبه مما يتعلق بحفظ السنة وانتشارها حتى أكد لي بعض أساتذة الإعلام ضرورة تدوين هذه اللمع ونشرها، لتلقي الأضواء بين يدي الدارسين للإعلام، والمشتغلين في ميدانه، مما شحذ همتي، فأعدت النظر في أصولي، وأضفت إليها ما لا غنى عنه، وبينت جوانب الإعلام فيها، وحللت بعض الوقائع والحوادث في مناسبات كثيرة، وكشفت عن أسس الإتصال التي قَدَّمتها، والدعائم الإعلامية التي قامت عليها، وأبرزتُ آثارها القريبة والبعيدة في هذا الميدان، وحاولت الإيجاز والاختصار، واكتفيت بذكر بعض النماذج حتى لا يتحول موضوعنا إلى مجموعة من الوثائق الإعلامية، فهذا موضوع آخر، قائم بذاته - ضمت مصادرنا العلمية في السيرة والتاريخ جميع أصوله وفروعه - وجعلت هذه الدراسة في بابين:

الباب الأول: حقائق الإعلام في صدر الإسلام

وبنيته على ثلاثة فصول:

الفصل الأول: خصائص الإعلام الإسلامي.

الفصل الثاني: دعائم الإعلام زمن رسول الله ﷺ ووسائله.

الفصل الثالث: مراكز الإعلام في صدر الإسلام.

الباب الثاني: الإعلام والوضع

وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول: ظاهرة الوضع وأسبابها

الفصل الثاني: جهود العلماء في مقاومة الوضع.

الفصل الثالث: تفنيد بعض الشبهات.

وخاتمـــة .

أسأل الله عز وجل أن أكون قد وفقت فيما قصدت، خالصاً لوجهه، وأن ينفع به، إنه خير مسؤول وبالاجابة جدير. وهو ولي التوفيق، وبيده الرشاد والسداد.

الدكتور محمد عجاج الخطيب
استاذ الدراسات الإسلامية في كلية الآداب
بجامعة الامارات العربية المتحدة

العين (أبو ظبي)
٧ رمضان ١٤٠٤هـ
٦/ ٦/ ١٩٨٤م

الباب الأوّل

حقائق الإعلام في صدر الإسلام وفيه

بين يدي الباب

بَينَ يَدَيِ البَاب

لم تكن بعثة الرسول ﷺ في الجزيرة العربية أمراً عادياً، ولا معجزة خارقة يعفي عليها الدهر بمضي صاحبها إلى بارئه، فتدخل في عالم النسيان، وإن عرض لها قبس من الذكر كانت من قصص القدامى وذكريات الآباء والأجداد. . لم تدخل بعثة الرسول ﷺ الدنيا من ذلك الباب لتخرج منه، بل طالعت الكون شمساً مشرقة تبعث فيه الحياة بعد ركود طويل، وتنير أرجاءه بعد ظلام دامس، تنشر فيه دفء المحبة والأخوة والسلام، فتسري في أوعيته روح الايمان، ليُظِلَّ جميع من تحت رايته ولوائه بوارف ظلال العدالة والمساواة والاباء، وتهب من كل حدب وصوب نسائم الايثار والتعاون والتضامن، والبذل والعطاء، فيتنسم الكون كله عليل النسيم، وينهل أهله من صفاء المعين، فيستعذبون المنهل، بعد ظمأ طويل، ويتذوقون حلاوة الايمان بعد قحط مديد. . فينطلقون يحررون الشعوب من قيود العبودية، وأغلال الجاهلية، وتسلط الطغاة الجبارين وبهذا شعر الناس بالكرامة الإنسانية، والعزة الحقيقية، وادركوا رسالة الحياة من خلال رسالة السماء، فاتسعت واحة الإسلام، وارتفعت أشجاره الباسقة في مشارق الدنيا ومغاربها، وعمت خيراته، وسطرت أمجاده، وبطولات رجاله في مختلف الميادين، بما لا تغيب عنه الشمس، مما يراه الداني والقاصي، ويُقرُّ به العدو قبل الصديق.

ولم تكن هداية العرب أمراً سهلاً، بل تحمل الرسول ﷺ في سبيلها المشاق الكثيرة، وبذل كل ما يطيق في سبيل الدعوة إلى الله عز وجل، وصبر

على الأذى في جسمه وماله وعياله، وأصحابه ووطنه، ولم يدخر وسعاً من أجل ذلك سراً وعلناً، ليلاً ونهاراً، يدعو قومه الذين كانوا على دين آبائهم وأجدادهم، إلى جانب ما كانوا عليه من شدة وعصبية ومروءة وحمية، فلا يتصور أن ينقلب هؤلاء مما هم عليه بين عشية وضحاها، وقد كان لمنهج الرسول ﷺ في تبليغه ودعوته أثر عظيم في ارساء قواعدها. وسرعة انتشارها بالنسبة للفترة الزمنية التي عاشها بعد بعثته ﷺ، فإنها لم تزد على ثلاثة وعشرين عاماً، ولما كان للإعلام (للتبليغ) أثر بعيد في انتشار الإسلام آنذاك، فسأعرض للجانب الإعلامي زمن الرسول ﷺ متوخياً التسلسل التاريخي لدعائم الاعلام، ومناسباته، ما وجدت إلى هذا سبيلاً، ليكون القارىء فكرة واضحة عن نمو الاعلام وسير حركته وتكامله، وأرى من المناسب أن أقدم بين يدي هذا الموضوع بلمحة موجزة حول أهم خصائص الاعلام الإسلامي ودوافعه آنذاك مما سنتناوله في الفصل الآتي. .

الفصل الأول

خصائص الإعلام الإسلامي ودوافعه .

١ ـ **عقيدي مسلكي** : ونعنى بهذا أنه قائم على العقيدة والإيمان ، مرتبط بأحكام الإسلام وتعاليمه ، وهديه وأخلاقه ، فإن أول ما نزل على الرسول ﷺ قوله تعالى : ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الإنسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم﴾(١) ، والقراءة مفتاح التعلم ، وأول وسائل التبليغ والاعلام . وقال تعالى : ﴿ياأيها الرسول بلغ ما أُنزِلَ إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته ، والله يعصمك من الناس ، إن الله لا يهدي القوم الكافرين﴾(٢) . فالتبليغ ونشر الدعوة من أولى واجبات الرسول ﷺ ، وهو واجب على الأمة الإسلامية ، بقوله تعالى : ﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، وأولئك هم المفلحون﴾(٣) . وهو من خصائصها التي تميزت به عمن سبقها من الأمم ، مصداقاً لقوله عز وجل : ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾(٤) .

---

(١) العلق : ١ـ٥ .

(٢) المائدة : ٦٧ .

(٣) آل عمران : ١٠٤ .

(٤) آل عمران : ١١٠ .

٢- واجب على كل مسلم بقدر طاقته: قال تعالى: ﴿وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نُزِّلَ إليهم ولعلهم يتفكرون﴾[١]. فَبَينَ الرسولُ ﷺ في جملة ما فصله وبيَّنه من الأحكام وجوبَ إعلانها والاعلام بها وتبليغها، في قوله «بلغـوا عني ولو آية»، وقوله «نَضرَ الله عبداً سمع مقالتي فوعاها ثم بَلَّغها عني، فَرُبَّ حاملٍ فقه غير فقيه، وربَّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه»[٢]، وكان يقول ﷺ: «ليبلغ الشاهدُ الغائب، ربَّ مبلغ أوعى من سامع»[٣]. ولهذا القول أثره العظيم في نمو الاتصال الشخصي وشحذ الهمم للتبليغ، كما له أثـره الكبـير في الاتصال الجمعي أو الجماهيري، هذان النوعان اللذان يعدان ركني علم الاتصال أحَد علوم الاعلام ووسَائله في العصر الحديث. ومما يؤكد وجوب الاعلام والتبليغ قوله ﷺ: «من سُئل عن علم فكتمه أُلجمَ بلجام من نارٍ يومَ القيامة»[٤].

وكان رسول الله ﷺ يأمر الوفود التي تفد إليه ﷺ بأن يحملوا الإسلام إلى من خلفهم ويعلموهم كما تعلموا منه ﷺ[٥].

وقد حذر الرسول ﷺ أهل العلم من عدم نشر علمهم وتبليغه، وحذر الجهال من البقاء على جهلهم في قوله: «ما بال أقوام لا يُفقِّهُون جيرانهم ولا يعلمونهم ولا يعظُونهم ولا يأمرونهم ولا ينهونهم، وما بالُ أقوام لا يتعلمون من جيرانهم. . فقـالـوا: أمهلنا سنةً، فأمهلهم سنة ليفقهوهم ويعلموهم ويعظُوهم، ثم قرأ ﷺ هذه الآية: ﴿لُعِنَ الذين كفروا من بني اسرائيل على

---

(١) النحل: ٤٤.

(٢) جامع بيان العلم وفضله ص٣٩ ج١ وما بعدها.

(٣) صحيح البخاري بحاشية السندي ص٢٣ ج١.

(٤) مسند الامام أحمد ص٥ حديث ٧٥٦١ ج١٤.

(٥) انظر فتح الباري ص١٩٤ ج١.

لسان داود﴾[1] كل هذا له شأنه في النشاط الاعلامي ووسائله.

٣- إنه حسبةٌ لله عز وجل: أي يقوم به العبد تقرباً إلى الله، محتسباً أجره عنده، لا يبتغي غير وجه الله، في ذلك، لا يريد من الخلق جزاءاً ولا شكوراً، قال رسول الله ﷺ: «إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً له»[2].

وقال ﷺ لعلي رضي الله عنه «فوالله لأن يهديَ الله بك رجلاً واحداً خيرٌ لك من حمر النَّعَمِ»[3].

٤- من أبرز خصائص الإعلام الإسلامي أنه موضوعي، لا يتأثر بميل أو هوى، وهذا مبني على ثلاث ركائز، وبعبارة أخرى مرد هذه الموضوعية إلى ثلاثة أسباب.:

السبب الأول الإيمان: فالمؤمن يلتزم بالحق فلا يزيد عليه ولا ينقص منه، ولا يغير فيه.

والسبب الثاني: أنَّ المُعْلَم به من عند الله عز وجل وعلى لسان رسول الله ﷺ فهو عقيدة أو تشريع أو آداب، إنه دين ليس لأحد أن يطاله من قريب أو بعيد إلا بما شرع الله من البيان، وقد قال ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد».

والسبب الثالث مبني على الخاصة السابقة، وهي كون الاعلام حسبة

---

(١) وتمام الآية ﴿على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون. كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه، لبئسَ ما كانوا يفعلون﴾ الآيتان [المائدة: ٧٨، ٧٩ والتناهي يشمل الاعلام بأحكام الله عز وجل، والحديث في مجمع الزوائد ص٦١٤ ج١، وأخرجه المنذري في الترغيب والترهيب ص٨٦-٨٧ ج١.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده ص١٢٦ ج٤ والنسائي في كتاب الجهاد.

(٣) أخرجه البخاري ومسلم.

لله عز وجل لا مدخل فيه لميل أو هوى، وبهذا سد باب التحريف والتزييف أو التهويل، أو التعمية. . مما ابتلى به إعلام هذا العصر في كثير من الأحيان فالاعلام الإسلامي موضوعي فيما يبلغ، وبعبارة أخرى موضوعي في رسالته والمرسل والمرسل إليه بعيد عن الدعاية كل البعد، ومعلوم ان الدعايه (علم صنع التأثير في الاخرين) بغض الطرف عن حقيقة ما تكون الدعايه له، فقد تتعمد وسائل الدعايه اخفاء حقيقه لظروف مكانية أو زمانيه , أو تهويلها, أو تشويهها من اجل الوصول إلى الهدف الدعائي المطلوب ولن تجد شيئاً من هذا في الاعلام الإسلامي ولو تناول المعلم به خصوصيات المعلم المبلغ، ولا ادل على هذا من حديث أبي ذر رضى الله عنه قال: قلت يا رسول الله ألا تستعملنى؟ قال: فضرب بيده على منكبي ثم قال: يا أبا ذر إنك ضعيف، وانها أمانة» وفي رواية يا ابا ذر إني اراك ضعيفاً، وانى أحب لك ما احب لنفسى، لا تأمرن على اثنين ولا تلين مالَ يتيم (أخرجه مسلم وأبو داود والنسائي وغيرهم.

٥ـ إنه إعلام مُوَثّق، لأنه مبني على قواعد التثبت والاستيثاق التي أمر الله تعالى بها، كما في قوله تعالى: ﴿واستشهدوا شهيدين من رجالكم فإن لم يكونوا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء. . ﴾(١).

وقوله عز وجل: ﴿ياأيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين﴾(٢) وقال ﷺ: «من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار»(٣) وقال: «مَنْ حَدَّثَ عني بحديث يُرَى

(١) البقرة: ٢٨٢.

(٢) الحجرات: ٦

(٣) حديث متواتر أخرجه اصحاب الكتب الستة والامام مالك واحمد وغيرهم.

أنه كذب فهو أحد الكاذبين»[1] .

٦- إعلام منهجي هادف: إنه يقوم على منهج الإسلام وبيانه من خلال مصدريه الأصليين الكتاب الكريم، والسنة المطهرة، ويهدف إلى إقامة شرع الله عز وجل وآدابه، بين عباد الله سبحانه وتعالى على أرض الله، تحقيقاً لاستخلاف الله تعالى عباده كما في قوله: ﴿. . إني جاعلٌ في الأرض خليفة . .﴾[2]. كقوله تعالى: ﴿الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونَهَوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور﴾[3] .

٧- عام شامل: عموم الإسلام وشموله، فهو صوته ولسانه، وقلمه وبيانه، المعبر عن عقيدته وأحكامه وشرائعه، المبين لآدابه وأخلاقه، يتناول أمور الدنيا والدين، والحياة والآخرة، وكل مايتعلق بالفرد والجماعة في السلم والحرب والمنشط والمكره، جليله وصغيره، عامه وخاصه، ما دام له صلة بالإسلام والمسلمين من قريب أو بعيد، من عدو أو صديق .

٨- بابه مفتوح لجميع المسلمين، لا يختص بفئة معينة، أو بجماعة دون أخرى، ولا يدخل في تقديره أي اعتبار أو ناظم سوى الاختصاص والتقوى، وفي مقدمة هؤلاء العلماءُ العاملون، فهم ورثة الأنبياء، وقد تصدر الرسول ﷺ للدعوة والتبليغ، وكلف من أصحابه من رأى فيهم القدرة على ذلك فأنفذهم إلى من حوله يبلغون الرسالة، ويؤدون الأمانة، وهو الأسوة الحسنة، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً﴾[4] .

---

(١) أخرجه مسلم ص٩ ج١

(٢) البقرة: ٣٠.

(٣) الحج: ٤١.

(٤) الأحزاب: ٢١.

ويقوم المسلم بدوره الاعلامي بدافع ذاتي، وطواعية نفسية، امتثالاً لأمر الله عز وجل وتقرباً إليه ـ سواء أكلفه المسؤولون أم لم يكلفوه ـ ما دام يعرف حكم الله، وأصول ما يدعو إليه وفروعه، مما فصلنا القول فيه في الخاصتين الأولى والثانية، وإذا أنيطت به مسؤولية الإعلام بتكليف أولي الأمر تضاعفت مسؤوليته، التي شملت واجب الإعلام والتبليغ وواجب أداء ما أنيط به. (أي وظيفته).

٩ـ اعلام منظم مسؤول: تشرف عليه الدولة بما يحقق إقامة شؤون الأمة، وإنارة سبلها، وتيسير أمورها، ورعاية مصالحها، وبيان حقوقها وواجباتها، والمحافظة على كيانها، بصيانة عقيدتها ودينها وآدابها وأخلاقها، وحسن رعاية ناشئتها من جميع النواحي التربوية، الفكرية والدينية والصحية والاجتماعية واللغوية.. ودفع كيد أعدائها، ونقض مكرهم وتدبيرهم، بما يراه المسؤولون مناسباً في كل عصر ومصر، مما تقتضيه السياسة الشرعية في المحافظة على مقاصد الشريعة، وما يلحق بها[١]، ومعروف من القاعدة الشرعية (ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب) وإن تنظيم الإعلام في أيامنا هذه، وحسن الاشراف عليه من أهم الضروريات التي يقتضيها هذا العصر، لآثاره الخطيره الجليلة، القريبة والبعيدة.

١٠ـ يقوم الإعلام الإسلامي على جميع الوسائل المشروعة، ويفيد من كل ما يسهم في تبليغ الدعوة، ونشر الإسلام وبيانه، وتوسيع آفاق المسلمين وتثقيفهم، ويستعمل جميع الأساليب التي تحقق ذلك، فلم يدع الرسول ﷺ أية وسيلة ممكنة في عصره من غير أن يفيد منها، إفادة حكيمة تامة، ويسخرها

---

(١) مقاصد الشريعة خمسة (١ـ حفظ الدين ٢ـ حفظ النفس. ٣ـ حفظ العقل. ٤ـ حفظ النسل. ٥ـ حفظ المال).

في تبليغ الدعوة بما يناسب الزمان والمكان وأهلها، مراعياً جميع الظروف المتعلقة بهم فكرياً واجتماعياً وغير ذلك مما يكفل بلوغ الذروة في العمل، والتدرج في معارج الكمال، حتى تم له ما يريد وتحقق قول الله عز وجل ﴿إذا جاء نصر الله والفتح، ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجاً فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً﴾.(١)

١١- تنوع أساليبه على مختلف وسائله: إن الدارس لمنهج النبي ﷺ في الدعوة إلى الله عز وجل، المتتبع لدقائق أموره وأخباره، يقف على أصول إعلامية وتربوية بالغة الأثر، تؤكد عظيم الدعوة والداعية، وتبين آثارها الايجابية في المدعوين، من الناحية الوجدانية والفكرية والسلوكية، على جميع المستويات واختلاف الظروف والبيئات.(٢)

---

(١) سورة النصر، وهي ثلاث آيات.

(٢) والامثلة على هذا أكثر من أن تحصى منها (أن فتى من قريش أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله ائذن لي في الزنا، فأقبل القوم وزجروه فقالوا: مه مه... فقال: أدنه فدنا منه قريباً. فقال: أتحبه لأمك؟ قال: لا والله جعلني الله فداك. قال: ولا الناس يحبونه لأمهاتهم. قال: أفتحبه لابنتك؟ قال: لا والله يا رسول جعلني الله فداك). قال: ولا الناس يحبونه لبناتهم - ثم ذكر له رسول الله صلى الله عليه وسلم أخته وعمته وخالته، وفي كل ذلك يقول الفتى مقالته. (لا والله يا رسول الله جعلني الله فداك) ثم وضع رسول الله ﷺ يده عليه وقال: «اللهم اغفر ذنبه، وطهر قلبه، وحصن فرجه». قال راوي الخبر فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء. مجمع الزوائد ص١٢٩ ج١.

ومنه ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: (جاء رجل من بني فزاره إلى النبي ﷺ فقال: إن امرأتي ولدت غلاماً أسود، وإني أنكرته، فقال له النبي ﷺ: هل لك من إبل؟ قال: نعم. قال: فما ألوانها؟ قال: حمر. قال: هل لك فيها من أورق؟ قال: إن فيها لَورقًا. قال: فأنى أتاها ذلك؟ قال: عسى أن يكون نَزَعَهُ عِرْقٌ. قال: =

فلم يدع أسلوباً من أساليب البيان إلا سلكه، في أحاديثه ومكاتباته، وتعليمه وعظاته، وخطبه وتوجيهاته، في دروسه ومعسكراته، بين ترغيب وترهيب، سمته التيسير لا يشوبه تعسير، والتبشير لا يعكر صفوه تنفير، والرفق لا يشينه عنف.

يمتطي في تعليمه وإعلامه صهوة (الإخبار) القصص اسلوباً، فيشد الاسماع إليه، وينتقل إلى الاستفهام فتجتمع القلوب عليه، ويسلك الحوار سبيلاً فيحفز الهمم بين يديه، وَيُعَرِّجُ على الحِكَمِ والأحكام والأمثال فتشرئبُ الأعناق إليه، ويرسم حيناً ويشبه أحياناً، فيقرب البعيد، وينقض العنيد، ويشحذ العتيد[1]، ويدعو داعي الجهاد فيقف بين أصحابه خطيباً،

=وهذا عسى أن يكون نزعة عرق) فخرج من عند رسول الله ﷺ طيب القلب، صافي النفس. انظر صحيح مسلم ص١١٣٧ ج٢ الحديث١٨ و٢٠. والأورق الذي فيه سواد ليس بصاف، والمراد بالعرق هنا الأصل من النسب، شبه النبي ﷺ حال وليده وقاسه على حال جماله وما عهده فيها، حتى انتهى إلى نتيجة مُسَلَّمَةٍ عند الأعرابي، لا تحتاج إلى جدال أو تقليب نظر.

ومنها أن أعرابيا دخل المسجد.. ولم يلبث أن بال فيه، فأسرع الناس إليه، فقال لهم رسول الله ﷺ: «إنما بعثتم ميسرين، ولم تبعثوا معسرين، أهريقوا عليه دلواً من ماء، أو سجلاً من ماء» وقال للأعرابي - وهو حديث عهد بالإسلام - إن مثل هذا لا يصلح في هذا أو كما قال ﷺ. انظر فتح الباري ص٣٣٥ و ٣٣٦ ج١، ومسند أحمد ص٢٤٤ حديث ٧٢٥٤ ج١٢ و ص٢٠٩ حديث ٧٧٨٦ ج١٤ بتحقيق أحمد شاكر. وانظر كتابنا أصول الحديث ص٦٢-٦٣، ومحاضراتنا في مساق (أساليب الدعوة) للفصل الدراسي الأول على طالبات جامعة الامارات العربية المتحدة العام الدراسي ١٩٨٣-١٩٨٤ ومحاضراتنا في منهج الرسول ﷺ في التربية على طالبات كلية التربية في مساق (طرق تدريس التربية الإسلامية٢) في الفصل الدراسي الأول من علم ١٩٨٣/١٩٨٤.

(١) العتيد: المعد المهيأ المستعد.

ويتقدمهم قائداً، فيحف به الأبطال، ويتسابق إليه الفرسان، وتحلو الشهادة في ميادينه . . . وإذا ما عاد إلى مسجده بين اخوانه وأحبته، ووقف بين يدي الرحمن في خشوع، اصطفت وراءه الجموع، ووجلت القلوب وَذُرِّفت الدموع، ما أعظم أسلوبه، وما أروع بيانه، وما أبلغ تأثيره، الذي انتهى بمئات الألوف تردد معه يوم الحج الأكبر: (لا إله إلا الله وحده، صدق وعده، ونصر عبده وأعز جنده، وهزم الأحزاب وحده . .) تشق من القلوب عنان السماء، فلا تسمع في جزيرة العرب وما حولها إلا صداه.

وقد آن لنا أن ننتقل بعد هذا إلى الفصل الثاني من موضوعنا.

الفصل الثاني

دعائم الإعلام زمن الرسول ﷺ ووسائله .

نتنـــاول في هذا الفصـل دعـائم الاعـلام زمن النبي ﷺ، ووسـائله ومناسباته، وجدير أن يفرد كل واحد من هذه ببحث مستقل، ليوفى حقه، ونكتفي في هذا المقام بالايجاز، فما لا يدرك كله لا يترك جله .

١ـ نشاط الرسول ﷺ :

بذل الرسول ﷺ جهده في تبليغ الدعوة ونشر الرسالة، فلم يدع وسيلة للدعوة إلا استفاد منها، ولا سبيلاً إلا سلكها ولا فرصة سانحة إلا شق طريقه إليها، ولا مناسبة إلا كان له نصيب فيها، فلم يذر قريباً إلا عرض الإسلام عليه، ولا بعيداً إلا شد الرحال إليه، يدنو البعيد بهمته، وتذلل الصعاب لعزيمته، يحدوه الأمل، فيجد بالعمل، لا يكل ولا يمل، فلا يثنيه تجهم قريب، ولا صدود بعيد[١] .

عرض نفسه على القبائل، واجتمع بوفودها في المواسم، ودعاهم إلى الإسلام في السراء والضراء، في الشدة والرخاء فلم يألُ جهداً، ولم يدخر وسعاً، حتى عز الإسلام وأهله، وقامت دولته، وقويت شوكته، وخفقت رايته .

---

(١) الحديث في هذا الموضوع يطول انظر سيرة ابن هشام ص٢٧٠ و٣١٧ و٣٥٠ و٣٥٤ و٤٢٥ ج٢ ونور اليقين ص٣٥-٦٢ و٦٦-٦٩ .

٢ـ طبيعة الإسلام ونظامه الجديد:

بدأ الرسول ﷺ دعوته سرا، لِما عرف من شدة قومه وتمسكهم بما كان عليه الآباء والأجداد، ثم جهر بدعوته، فكان الناس يتناقلون أخبار الإسلام، ويتساءلون عما يدعو إليه الرسول ﷺ، وعنه وعن أهدافه ومراميه، فكان بعض من يسمع بالدعوة يقبل على رسول الله ﷺ فيسأله عن الإسلام، فيتلو عليه بعض ما أنزل الله تعالى من الكتاب المبين، فيدرك أمر الدعوة فيعلن اسلامه، ثم ينطلق إلى قومه يبلغهم ما رأى، ويخبرهم ما سمع، من هذا ما حصل لعبدالله بن مسعود[1]، ولأبي ذر الغفاري، فقد كان أبو ذر من أهل البادية فصيحاً، عذب الحديث، بلغه أمر الرسول ﷺ فقال لأخيه: اركب إلى هذا الوادي فاعلم لي علم هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي يأتيه خبر من السماء، واسمع من قوله، ثم ائتني، فانطلق أخوه حتى قدم مكة المكرمة، وسمع من الرسول ﷺ ثم رجع إلى أخيه أبي ذر فقال: رأيته يأمر بمكارم الأخلاق، ويقول كلاماً ما هو بالشعر، فقال: ما شفيتني مما أردت، فتزود وحمل قربة له فيها ماء، ورحل إلى النبي ﷺ فقدم مكة. . . وبعد ثلاثة أيام لقي الرسول ﷺ وسلم فسمع منه فأسلم مكانه، فقال له النبي ﷺ ارجع إلى قومك فأخبرهم حتى يأتيك أمري. قال: والذي نفسي بيده لأصرخن بها بين ظهرانيهم، فخرج حتى أتى المسجد فنادى بأعلى صوته أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فقام القوم فضربوه حتى أضجعوه، وأتى العباس فأكب عليه وقال: ويلكم أولستم تعلمون أنه من غفار، وأن طريق تجارتكم إلى الشام عليه، فأنقذه منهم، ثم عاد من الغد

---

(١) انظر مسند الامام أحمد ص٢١٠ ج٥ و١٩٠ ج٦ حديث ٤٤١٢ تحقيق احمد شاكر وانظر السيرة النبوية لابن هشام ص٣١٤ ج١.

بمثلها وثاروا إليه فضربوه فأكب العباس عليه فأنقذه[1] . وقال له ﷺ : «فهل أنت مبلغ عني قومك عسى الله أن ينفعهم بك ويأجرك فيهم»[2] فأتى أخاه فدعاه إلى الإسلام فأسلم، ودعا أمه فأسلمت ودعيا قومهما فأسلم نصفهم، وأسلم الباقون بعد الهجرة[3] ومثل هذا ما كان من مشركي مكة حين قدم إليها، الطفيل بن عمرو الدوسي، فقد كان شريفاً، شاعراً مليئاً كثير الضيافة، عرفت قريش منزلته في قومه ومكانته، فتسارعوا إليه، يقولون له : (إنك قدمت بلادنا وهذا الرجل الذي بين أظهرنا قد أعضل بنا، وفرق جماعتنا، وشتت أمرنا، وإنما قوله كالسحر يفرق بين الرجل وأبيه . .) أرادوا أن يصدوه عن الإسلام، فنوى ألا يسمع من الرسول ﷺ حتى لا يؤخذ بسحره كما ادعوا . . وعند الكعبة سمع رسول الله ﷺ يصلي، فأعجب بما يتلو، فذهب معه إلى منزله، فعرض عليه الإسلام، وتلا عليه القرآن، فشعر بحلاوة الايمان، فأعلن إسلامه، وعاد إلى قومه يدعوهم إليه . . [4] فرد الله كيد المشركين في نحورهم . . وآمنت قبيلة دوس ثم هاجر أكثرها من اليمن إلى الرسول ﷺ في المدينة . ومثل هذا ما كان من ضمام بن ثعلبة[5] .

٣ـ المؤمنون :

كان لنشاط المؤمنين أصحاب رسول الله ﷺ أثر كبير في نشر الإسلام

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم . انظر جمع الفوائد ص٥٤٢ ج١ .

(٢) انظر جمع الفوائد ص٥٤١ ج١ .

(٣) انظر جمع الفوائد ص٥٤١ـ٤٢ ج١ .

(٤) انظر طبقات ابن سعد ص١٧٥ و١٧٦ قسم١ ج٤، والاصابه في تمييز الصحابة ص٢٨٧ ج٣ وسيرة ابن هشام ص٣٨٢ـ٣٨٤ ج٢ وكتابنا أبوهريرة راوية الإسلام الطبعة الثالثة ص٦٨ وما بعدها .

(٥) انظر فتح الباري ص١٥٦ ج١ ومسند الامام أحمد ص١١٨ ج٤ وص٢٦٤ ج١ وص١٢٠ ج٤ .

وتبليغه، نشاط اعلامي يبين عقيدة الإسلام وأحكامه وآدابه بما لا يدع سؤالا لطالب علم، ولا استزادة لمستزيد، فقد وقفوا نفوسهم لذلك ولا أدل على هذا مما اسلفنا ذكره قبل قليل عن أبي ذر رضي الله عنه. . وكانوا يسمعون من الرسول ﷺ ويبلغون ذويهم وكانوا يحرصون على حضور مجالس الرسول ﷺ حرصاً شديداً إلى جانب قيامهم بأعمالهم المعاشية من رعاية وتجارة وغيرها، وقد يتعذر على بعضهم دوام ملازمته ﷺ فيتناوب مع بعض أصحابه ينزل يوماً إلى النبي ﷺ فيسمع منه ثم يعود إلى مقامه فيبلغ صاحبه، وينزل صاحبه في اليوم التالي إلى الرسول ﷺ، فيسمع منه ثم يعود في المساء إلى صاحبه بخبر الوحي، وخبر ذلك اليوم، وهذا ما كان يفعله عمر رضي الله عنه وجار له من الأنصار في بني أمية بن زيد، من عوالي المدينة[1].

ومن الصحابة من كان يسمع من الرسول ﷺ ثم يعود إلى حيه يعلمهم ويصلي فيهم[2].

٤ـ نشاط أمهات المؤمنين رضي الله عنهن:

كان لأمهات المؤمنين فضل كبير في تبليغ الدين، ونشر الإسلام وبيان أحكامه في المسلمين عامة، وفي النساء خاصة، ففي أول البعثة حين عاد الرسول ﷺ من غار حراء بعد أن نزل الوحي إليه عاد إلى السيدة خديجة رضي الله عنها، وقد أخذته الرعدة والقشعريرة من روع ما رأى وسمع حين نزل عليه جبريل عليه السلام ـ فقال: زملوني زملوني. . حتى إذا ما هدأ فؤاده، واستراحت نفسه أخبر السيدة خديجة، رضي الله عنها الخبر، وقال لقد خشيت على نفسي ـ لأن المَلَكَ غَطَّه غطة شديدة ثم أرسله ولم يسبق له عهد

---

(١) انظر فتح الباري ص١٩٥ ج١.

(٢) كمعاذ بن جبل وصلاته وراء رسول الله ﷺ ثم انطلاقه الى حيه ليصلي فيهم حديث متفق عليه انظر فتح الباري ص١٣٢ ج١٣ وسبل السلام ص٢٥ ج٢.

به ـ فقالت: (كلا، والله ما يخزيك الله أبدا، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكلّ، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق، فلا يسلط الله عليك الشياطين والأوهام، ولا مراء أن الله اختارك لهداية قومك). وانطلقت به إلى ابن عمها ورقة بن نوفل أحد من تنصر في الجاهلية، وكان له اهتمام بكتب أهل الكتاب، فأخبره النبي ﷺ بما عرض له، فقال ورقة: هذا الناموس الذي نَزَّلَ الله على موسى، ثم قال: يا ليتني فيها جذعاً[1] إذ يخرجك قومك من بلادك. فقال ﷺ: أو مخرجيَّ هم؟ قال: لم يأتِ رجلٌ قط بمثل ما جئت به إلا عودي. قال: وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً. ثم عاد ﷺ ومعه السيدة خديجة رضي الله عنها، ثم لم يلبث ورقة أن توفي[2]. وقد بذلت السيدة خديجة رضي الله عنها، من مالها ووقتها وجهدها في سبيل الدعوة الكثير الكثير.

وكان لسائر أزواج النبي ﷺ أثر كبير في نشر الإسلام، وقد اشتهرت السيدة عائشة رضي الله عنها بعلمها الغزير، وحرصها على فهم أحكام الدين، فكانت تبين ذلك للنساء اللواتي يخجلن من أن يسألن الرسول ﷺ عن أمورهن، فيجدن عندها، وعند أزواجه ﷺ ما يشفي غليلهن. وقد عرف المسلمون مكانتها العلمية فكانت محط أنظار العلماء وطلاب العلم بعد وفاة الرسول ﷺ ومرجع المستفتين في كثير من أمور الدين.

٥ـ الصحابيات:

كان لنساء المسلمين أثر عظيم في نشر الإسلام وتبليغه، لا يقل عن أثر الصحابة رضى الله عنهم، لأمرين أساسيين، الأول منهما المكانة الرفيعة التي

---

(١) جذعاً: أي شاباً.

(٢) انظر سيرة ابن هشام ص٢٣٧ـ٢٣٨ ج١.

حظيت بها المرأة في الإسلام، بعدما كانت عليه في الجاهلية، من ظلم وضياع في الحقوق والميراث والمعاملات، لأنها لا تحمى حمى القبيلة، ولا تحمل السلاح كما يحمله الرجال، فلم يكن لها شأن اجتماعي يذكر. ولا رأي سياسي يناقش، ولا نصيب في الأموال والمتاع، إلى غير هذا مما كانت تعانيه، فتنسمت في الإسلام روح الحرية، والكرامة الإنسانية، وتمتعت بكافة الحقوق الأدبية والمالية والاجتماعية والسياسية، التي لم تحظ ببعضها كثير من نساء العالم في عصرنا هذا، وبهذا اتسعت آفاقها وتغيرت نظرتها للحياة، فكان لهذا أثر عظيم في دورها الإعلامي، وإذا انضم إلى هذا السبب العاملُ الثاني وهو اهتمام الرسول ﷺ بتعليم النساء، وحضه إياهن على طلب العلم، ونشره[1] ـ تجلى لنا أثر المرأة المسلمة آنذاك في الإعلام ونشر الإسلام. لقد كان للصحابيات أثر كبير في تبليغ أحكام الإسلام، وبخاصة ما يتعلق منها بالنساء وحياتهن الزوجية ـ نقلنها إلى خلفهن ـ كان من الصعب أن يسأل عنها الصحابة رسول الله ﷺ.

٦ـ دار الإسلام:

كان الرسول ﷺ قد اتخذ دار الارقم بن عبد مناف بن سعد بمكه مركزا للدعوة الى الإسلام، حين كانت الدعوة سرية أول عهدها، وكانت تسمى دار الاسلام، يلتف المسلمون حوله بعيدا عن المشركين، يتلون كتاب الله

---

(١) خصص الرسول ﷺ للنساء مجالس خاصة في أوقات معينة يتلقين فيها الإسلام وأحكامه بين يدي رسول الله ﷺ، حتى قالت السيدة عائشة رضي الله عنها: (نعم النساء نساءُ الأنصار، لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين). فتح الباري ص٢٣٩ ج١، وانظر مسند الإمام أحمد ص٨٥ ج١٣ تحقيق أحمد شاكر وفتح الباري ص٢٠٦ ج١. هذا إلى جانب أن بعضهن كن يشهدن صلاة الجماعة، كما كانت أكثر النساء يشهدن بعض المواسم كصلاة العيد.

ويتعلمون مبادىء الإسلام، ويحفظون ما يتنزل على الرسول ﷺ من القرآن، ويخرجون من دار الإسلام بعد ان يتزودوا من العلم ما شاء الله تعالى لهم أن يتزودوا - ليبلغوا ما تعلموه، ثم ما لبث أن أصبح منزل الرسول ﷺ محط انظار المسلمين في مكة المكرمة ومعهدهم الذي يتلقون فيه القرآن الكريم والسنة، ودائرتهم الاعلامية التى ينطلقون منها لأداء الأمانة وتبليغ الرسالة[1].

٧ـ البيت العتيق:

كان الرسول ﷺ يدعو الناس سراً، ولا يعرض لمجالس قريش ومجامع العرب، وكان المسلمون يخفون عباداتهم ولا يعلنونها حذرا من تعصب قريش وغيرها من مشركي العرب، قال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: ما زال النبي ﷺ مستخفيا حتى نزلت ﴿فاصدع بما تؤمر﴾ فخرج هو واصحابه[2]، أي يعلنون الدعوة ويبلغونها. ولما نزل قوله سبحانه وتعالى ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾[3] أتى النبي ﷺ الصفا[4] فصعد عليه ثم نادى: «يا صباحاه» فاجتمع الناسُ إليه، بين رجلٍ يجيء إليه، وبين رجلٍ يبعثُ رسوله، فقال رسـول الله ﷺ: يا بني عبـدالمطلب، يا بني فهر، يا بني لؤي، أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً بسفح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم صدقتموني؟ قالوا: نعم، قال: «فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد»، فقال أبو لهب: تباً لك

(١) انظر كتابنا أصول الحديث ص ٥٨.

(٢) الآية ٩٤ من سورة الحجـر، وانظر مختصر تفسير ابن كثير ص ٣٢٠ ج٢، وفتح القدير ص ١٤٥ ج٣.

(٣) الشعراء: ٢١٤.

(٤) الصفا جبل صغير في الجنوب الشرقي من الكعبة المشرفة كان خارج المسجد، وصار الصفا والمروة والمسعى بينهما ضمن حدود البيت العتيق بعد توسيع الحرم المكي الذي أنجز في النصف الثاني من القرن العشرين (سنة ٩٥٧ـ١٩٧٠).

سائر اليوم أما دعوتنا إلا لهذا؟ وأنزل الله عز وجل فيه ﴿تبت يدا أبي لهب وتب﴾. وفيها قال بعد أن دعا قريشاً فعم وخص: «يا معشر قريش أنقذوا أنفسكم من النار، يا معشر بني كعب أنقذوا أنفسكم من النار، يا معشر بني هاشم أنقذوا أنفسكم من النار، يا معشر بني عبدالمطلب أنقذوا أنفسكم من النار، يا فاطمة بنت محمد أنقذي نفسك من النار، فإني والله لا أملك لكم من الله شيئاً إلا أن لكم رحماً سأبلها ببلالها»[1] وفيها قال: يا بني قصي، يا بني هاشم، يا بني عبد مناف، أنا النذير، والموتُ المغير، والساعة الموعد»، «إنما مثلي ومثلكم كرجُلٍ رأى العدو فذهب يربأ أهله رجاء أن يسبقوه فجعل ينادي ويهتف يا صباحاه»[2].

وصار الرسول ﷺ وبعض أصحابه يجلسون في البيت العتيق، وكان الرسول ﷺ يصلي فيه، ولقي وصحبه بعد هذا مزيداً من الايذاء بالقول والفعل، ومما يؤكد أن النبي ﷺ كان يجلس مع أصحابه حول الكعبة حديث أبي عبدالله خبّاب بن الأرتّ رضي الله عنه، قال: شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسدٌ بردةً له في ظلِ الكعبة ـ وقد لقينا من المشركين شدة ـ فقلنا ألا تستنصر لنا ألا تدعو لنا[3].

---

(١) أي سأصل قرابتي بأقل قدر لا يقطعها.

(٢) انظر مختصر تفسير ابن كثير ص٦٦١-٦٦٢ جـ ٢، وفتح القدير ص ١٢٢ ج٤.

(٣) وتتمة الحديث «فقال: قد كان من قبلكم يؤخذ الرجُلُ فيحفر له في الأرض فيجعل فيها، ثم يؤتى بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعلُ نصفين ويمشطُ بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه ما يصده ذلك عن دينه، والله ليُتمَّنَّ الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخافُ إلا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون». أخرجه البخاري وأبو داود والنسائي انظر كتابنا (قبسات من هدي النبوة) ص١٥، وانظر جلوسه ﷺ عند الكعبة ومعه أبو بكر سيرة الرسول ﷺ لابن هشام ص ٣٥٦ ج١.

٨ـ أسواق العرب :

بعد أن أمر الرسول ﷺ بالجهر في الدعوة لم يدع مكاناً تجتمع فيه العرب إلا وأتى إليه، ولا مجلساً إلا وقف عليه، يدعوهم بالحكمة والموعظة الحسنة، من هذا ما رواه الامام أحمد رحمه الله عن أبي الزناد قال: أخبرني رجل يقال له ربيعة بن عباد من بني الديل، وكان جاهلياً فأسلم، قال: (رأيت النبي ﷺ في الجاهلية ـ أي قبل اسلامه هو أو قبل أن ينتشر الإسلام في الجزيرة ـ في سوق ذي المجاز وهو يقول: «يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا» والنـاس مجتمعون عليه، ووراءه رجل وضيء الوجه، أحول ذو غديرتين، يقول: إنه صابىء كاذب، يتبعه حيث ذهب، فسألت عنه، فقالوا: عمه أبـو لهب[١]، وفي رواية أن أبا جهل كان يحثى عليه التراب يقول: يا أيها الناس لا يغوينكم هذا عن دينكم، فإنما يريد لتتركوا دينكم، ولتتركوا اللات والعزى، وما يلتفت إليه ﷺ[٢].

وروى ابن سحـاق عن ربيعة بن عباد قال: إني لغلام شاب مع أبي بمنى، ورسول الله ﷺ يقف على منازل القبائل من العرب، فيقول: يا بني فلان، إني رسول الله إليكم يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، وأن تخلعوا ما تعبدون من دونه من هذه الأنداد، وأن تؤمنوا بي، وتصدّقوا بي، وتمنعوني، حتى أبين عن الله مابعثني به. قال: وخلفه رجلٌ أحولُ وضيء، له غديرتان، عليه حلة عدنية، فإذا فرغ رسول الله ﷺ من قوله وما دعا إليه، قال ذلك الرجل: يا بني فلان، إن هذا إنما يدعوكم أن تسلخوا اللات والعزى من أعناقكم، وحلفاءكم من الجن من بني مالك بن أُقَيْش[٣]، إلى

(١) مختصر تفسير ابن كثير ص ٦٨٩ ج٣.

(٢) انظر جمع الفوائد ص ٦٥ ج٢.

(٣) وإلى هذا الحي تنسب الإبل الأقيشية، وهي غير عتاق تنفر من كل شيء.

ما جاء به من البدعة والضلالة، فلا تطيعوه، ولا تسمعوا منه.

قال: فقلت لأبي: (يا أبتِ من هذا الذي يتبعه ويردُّ عليه ما يقول؟ قال: هذا عمه عبدالعزى بن عبدالمطلب، أبولهب)[1].

٩ـ مواسم العرب:

وكان الرسول ﷺ لا يدع للعرب موسماً إلا يوافيه ويدعو المشاركين فيه، فيأتي إلى القبائل في منازلها، ويدعوها إلى الله تعالى وإلى الإسلام، ويعرض عليهم نفسه، وما جاء به من الله من الهدى والرحمة، ولا يسمع بقادم يقدم مكة من العرب، له مكانة فيها، أو يد في المكارم إلا تصدى له، فدعاه إلى الله عز وجل وعرض عليه الإسلام، وتلا عليه القرآن، فكان منهم من يؤمن، ومنهم من يتولى عنه، ومنهم من يرده بغلظة وجفاء، ومنهم من يحول بينه وبين الإسلام ميله وهواه[2]. وكان يفيد من موسم الحج، فيلقى القادمين إلى مكة، وإلى مشاعر الحج، فيجلس إليهم ويعرض عليهم الإسلام، ويقرأ عليهم القرآن، ومثل هذا تم مع الأنصار في بيعة العقبة الأولى، فلما عادوا

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ص ٤٢٣ ج١.

(٢) عرض الرسول ﷺ نفسه على بني عامر، ودعاهم للإسلام فقال أحدهم: (والله لو أني أخذت هذا الفتى من قريش، لأكلت به العربَ، ثم قال للرسول ﷺ: أرأيت إن نحن بايعناك على أمرك، ثم أظهرك الله على من خالفك، أيكون لنا الأمر من بعدك؟ قال: الأمر إلى الله يضعه حيث يشاء، قال: فقال له: أفتهدف نحورنا للعرب دونك، فإذا أظهرك الله كان الأمر لغيرنا: لا حاجة لنا بأمرك، فأبوا عليه). فلما رجعوا إلى قومهم أخبروا شيخاً كبيراً لهم لا يقدر أن يوافي المواسم ـ بما كان في موسمهم من أمر الرسول ﷺ فقال: (والذي نفس فلانٍ بيده إنها لحق، فأين رأيكم كان عنكم) سيرة ابن هشام ص ٤٢٥ ج١ وانظر لقاء الرسول ﷺ لسويد بن صامت، وإياس بن معاذ المرجع السابق ص٤٢٥ـ٤٢٨ ج١.

إلى قومهم في المدينة المنورة، ذكروا لهم رسول الله ﷺ، ودعوهم إلى الإسلام ففشا فيهم، حتى لم تبق دارٌ من دور الأنصار إلا وفيها ذكرٌ لرسول الله ﷺ، وذكر للإسلام[1]، ثم كانت بعدها بيعة العقبة الثانية التي ضمت ثلاثة وسبعين رجلاً وامرأتين، وأرست قواعد الإسلام في المدينة المنورة، وهيأت لقيام دولته، وارتفاع كلمته، بفضل الله تعالى ونصرته.

١٠- أول وفد إعلامي للمسلمين خارج الجزيرة:

لما اشتد أذى المشركين للمسلمين قال الرسول ﷺ لأصحابه لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكاً لا يُظلمُ عنده أحد، وهي أرض صدق، حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه، فخرج من أصحابه ﷺ عشرة رجال وخمس نسوة، فراراً بدينهم، ومخافة الفتنة، فكانت أول هجرة في الإسلام، ولم يبق مع النبي ﷺ إلا القليل، ثم رجع المهاجرون بعد ثلاثة أشهر وقاطعت قريش النبي ﷺ فدخل الرسول عليه الصلاة والسلام وقومه وبعض المسلمين شعب أبي طالب، وأمر جميع المسلمين بأن يهاجروا إلى الحبشة، فهاجر نحو ثلاثة وثمانين رجلاً وثماني عشرة امرأة، فأحسن النجاشي جوارهم، وعبدوا الله لا يخافون على دينهم أحداً، فلما علمت قريش بحالهم واستقرارهم أرسلوا إلى النجاشي رجلين شديدين[2]، وجمعوا لهما هدايا للنجاشي وحاشيته وأعيان رجاله، ليحرضوه على اخراج المسلمين من أرضه ويسلمهم المسلمين، فأرسل النجاشي إلى المسلمين فجمعهم بالرجلين، ثم سألهم عن حالهم وعن دينهم فبينوا له دعوة الرسول ﷺ وما يأمر به، فقال النجاشي لجعفر بن أبي طالب: هل معك مما جاء به عن الله من شيء؟ فقال له جعفر: نعم. فقال له النجاشي: فاقرأه عليَّ فقرأ عليه صدراً.. سورة مريم ﴿كهيعص﴾.

---

(١) انظر المصدر السابق ص ٤٣٠ ج١.

(٢) الرجلان هما عمرو بن العاص وعبدالله بن أبي ربيعة المخزومي.

فبكى النجاشي حتى اخضلت لحيته، وبكت أساقفته حين سمعوا ما تلا عليهم، ثم قال النجاشي: إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة، انطلقا، فلا والله لا أسلمهم إليكما أبداً، ولا أكاد[1] وكان ذلك قبل الهجرة إلى المدينة المنورة بنحو ثلاث سنين وعدة أشهر، وفي النجاشي وأصحابه نزل قوله تعالى: ﴿وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع﴾ على ما ذكره أئمة المفسرين[2].

١١ـ رسل النجاشي باسلامه وإسلام قومه إلى الرسول ﷺ:

أخرج ابن حميد وابن جرير الطبري وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ وابن مردوية عن سعيد بن جبير في قوله تعالى: ﴿ولتجدنّ أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً وأنهم لا يستكبرون. وإذا سمعوا، ما أنزل إلى الرسول ترى أعينُهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين﴾[3] قال: هم رسل النجاشي باسلامه وإسلام قومه، كانوا سبعين رجلاً يختارهم من قومه، الخيرُ فالخير في الفقه والسن، وفي لفظ بعث من خيار أصحابه إلى رسول الله ﷺ ثلاثين رجلاً، فلما أتوا رسول الله ﷺ دخلوا عليه فقرأ عليهم سورة [يس] فبكوا حين سمعوا القرآن وعرفوا أنه الحق فأنزل الله فيهم ﴿ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً﴾ الآية.

وأخرج الطبري وابن أبي حاتم عن السدي قال: بعث النجاشي إلى رسول الله ﷺ اثني عشر رجلاً، سبعة قسيسين وخمسة رهباناً ينظرون إليه

---

(١) انظر جمع الفوائد ص ٦٥ـ٦٨ ج١، وسيرة ابن هشام ص٣٢١ـ٣٣٨.

(٢) انظر فتح القدير للشوكاني ص ٦٨ـ٦٩ ج٢.

(٣) [المائدة: ٨٢، ٨٣].

ويسألونه، فلما لقوه فقرأ عليهم ما أنزل الله بكوا وآمنوا، فأنزل الله فيهم ﴿وإذا سمعوا ما أنزل إلى رسول الله﴾ الآية(١).

قال ابن اسحاق: (قدم على رسول الله ﷺ، وهو بمكة، عشرون رجلاً أو قريب من ذلك من النصارى، حين بلغهم خبره من الحبشة، فوجدوه في المسجد، فجلسوا إليه وكلموه وسألوه، ورجالٌ من قريش في أنديتهم حول الكعبة، فلما فرغوا من مساءلة رسول الله ﷺ عما أرادوا، دعاهم رسول الله ﷺ إلى الله عز وجل وتلا عليهم القرآن، فلما سمعوا القرآن فاضت أعينهم من الدمع، ثم استجابوا لله، وآمنوا به وصدقوه، وعرفوا منه ما كان يوصف لهم في كتابهم من أمره، فلما قاموا عنه اعترضهم أبو جهل بن هشام في نفرٍ من قريش، فقالوا لهم: خيبكم الله من ركب، بعثكم من وراءكم من أهل دينكم ترتادون لهم لتأتوهم بخبر الرجل، فلم تطمئن مجالسكم عنده، حتى فارقتم دينكم وَصَدَّقتموه بما قال، ما نعلمُ ركباً أحمق منكم. أو كما قالوا فقالوا لهم: سلامٌ عليكم لا نجاهلكم، لنا ما نحن عليه، ولكم ما أنتم عليه، لم نألُ أنفسنا خيراً(٢) أي لم نقصر في تحصيل الخير لأنفسنا. مما لا شك فيه أن لمثل هذا الوفد أثره الكبير في نشر الإسلام، والإعلام به في أوساط قومهم الذين أتوا ليستطلعوا لهم الخبر، فعرفوا الحق فأعلنوا إيمانهم به بين ظهراني المشركين لا يخافونهم على دينهم، فمن الأولى أن ينشطوا في بلادهم ـ حين يعودون إلى ذويهم ـ في الدعوة إلى الإسلام.

١٢ـ الاسراء والمعراج:

قبل الهجرة بنحو ثلاث سنين أكرم الله تعالى الرسول ﷺ بالاسراء

---

(١) انظر فتح القدير للشوكاني ص٦٩ ج٢.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ص ٣٩١-٣٩٢ ج١.

والمعراج من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ثم بعروجه منه إلى السماوات العلا، ورأى من آيات الله العظيمة ما رأى، وكلفه سبحانه وتعالى وأمته بالصلاة، خمس صلوات في اليوم والليلة بأجر خمسين صلاة، وكان من مرائيه ﷺ ما يبشر هذه الأمة، وما يحذرها من مواطن الزلل، والخروج عن أمر الله ما يطول ذكره مما تكفلت ببسطه كتب التفسير والحديث والسير. وكان لهذا الحادث العظيم البارز في حياة الرسول ﷺ أثر إعلامي كبير، حين عاد الرسول ﷺ وأخبر قومه في ناديهم، فتنادى المشركون وعجبوا لأمر الرسول ﷺ، وأنكروا عليه، فسألوه عن وصف بيت المقدس وعن قافلة تجارتهم القادمة من الشام، فوصف لهم البيت باباً باباً، فعجب من كان قد رآه لدقة وصفه حتى قال بعضهم (أما النعت فقد أصاب)، فتنطعوا في السؤال عن عيرهم فأخبرهم بعدد جمالها وأحوالها وعن موعد قدومها، وصدق الواقع ما قال، غير أنهم عاندوا وادعوا أن ما جاء به إنما هو سحرٌ مبين، وتناقل الناس الخبر فكانوا بين مصدق ومستغرب، واستغرقت آثار هذا الحادث العظيم في الناس فترة زمنية طويلة[1]، تشحذ همم المؤمنين، وترد مكر المشركين، وفي كل هذا إثارة للأفكار، وتهييج للإيمان، ونشاط للمؤمنين في أمر دعوتهم، وبيان أحكام دينهم، لا يقل عن الأنشطة الإعلامية المعاصرة في الندوات الثقافية، والمؤتمرات العلمية.

١٣ـ المسجد:

كان الرسول ﷺ وأصحابه يصلون في شعاب مكة المكرمة، وفي دار الأرقم بن أبي الأرقم، أثناء الدعوة السرية، ثم أعلنوا صلاتهم حين أمر الرسول ﷺ بالجهر بالدعوة إلى الله عز وجل وكثيراً ما كان الرسول ﷺ يصلي

(١) انظر السيرة النبوية لابن هشام ص ٣٩٧ـ٤٠٩ ج١. ومجمع الفوائد ص ٤٥٨ـ٤٦٦ ج٢ وفتح القدير ص٢٠٦ـ٢٠٨ ج٣.

في المسجد الحرام جانب الكعبة المشرفة، إلى أن كانت الهجرة وبنى ﷺ مسجده في المدينة، وأنشئت فيها مساجدها المشهورة، ويمكن أن نذكر بعض الجوانب الإعلامية الخاصة بالمسجد فيما يأتي:

أ- الأذان:

في اللغة هو الإعلام، وتقول آذنه بالشيء أعلمه به، وأذان الصلاة معروف، وقد شرعه الله تعالى للمسلمين في السنة الأولى من الهجرة بعد أن بنى الرسول ﷺ مسجد المدينة مع أصحابه، وجعل قبلته في شماله إلى بيت المقدس، فكان يؤذن للصلاة خمس مرات في كل يوم، وكان إذا حزب المسلمين أمرٌ، أو كان هناك أمر هام أمر الرسول ﷺ من ينادي في الناس «الصلاة جامعة» فيجتمعون إليه في المسجد فيبين لهم ما جمعهم له[1]. وثبت عن الرسول ﷺ فضل الأذان والمؤذنين في عدة أحاديث وقوله ﷺ «الإمام ضامن والمؤذن مؤتمن»[2] يبين مسؤولية المؤذن عن مواقيت الصلاة وإعلام الناس بدخولها.

ب - الصلوات:

يجتمع المسلمون خمس مرات في كل يوم وليلة في المسجد، يقيمون الصلاة، ويتبادلون أخبارهم، وشؤون المسلمين، ويتفقد بعضهم بعضاً، وما كان أحدٌ يغيب عن صلاة الجماعة إلا لعذر قاهر، فحضور الجماعة فرض

---

(١) انظر جمع الفوائد ص ١٦١-١٦٦ ج١ والسيرة النبوية لابن هشام ص ٥٠٩-٥١٠ ج١ و٢.

(٢) وتتمة الحديث (فأرشد الله الإمام وعفا عن المؤذن) أخرجه الترمذي والإمام أحمد وآخرون انظر سنن الترمذي ص٤٠٣-٤٠٤ ج١ ومسند أحمد ص١٥٤ ج١٢ بتحقيق أحمد شاكر وله طرق كثيرة انظر مجمع الزوائد ص٢ ج٢.

عين عند بعض أهل العلم، وشرط لصحة الصلاة عند آخرين. وهي سنة مؤكدة من سنن الهدى عند آخرين[1]، لا يجوز التساهل في أمرها.

وكثيراً ما كان الرسول ﷺ والصحابة من بعده يتحدثون إلى اخوانهم عقب الصلاة بما يهمهم من أمور الدنيا والآخرة، وفي هذا من الاعلام ما لا يخفى.

جـ ـ صلاة الجمعة:

بعد بيعة العقبة الأولى أوفد الرسول ﷺ مع الأنصار مصعب بن عمير، وأمره أن يقرئهم القرآن، ويعلمهم الإسلام، وأن يفقههم في الدين، حتى سمي مقرىء المدينة، وكان منزله على أبي أمامه أسعد بن زرارة، وكان يؤم الأوس والخزرج من المسلمين، وكان أوَّلَ مَنْ جمَّعَ في المدينة أسعد بن زراره رضي الله عنه، خرج بالمسلمين إلى هَزم النبيت، من حرة بني بياضه في موضع يقال له (نقيعُ الخضمان)، وكانوا أربعين رجلاً[2].

وكانت أول جمعة أدركت النبي ﷺ في المدينة بعد الهجرة في بني سالم بن عوف، فنزل وصلاها مع أصحابه[3] وفي خطبة الجمعة من الاعلام، وبيان أحكام الإسلام وشرائعه الخير الكثير.

د ـ مجالس الرسول ﷺ:

كان الرسول ﷺ قد خصص أوقاتاً معينة لتعليم أصحابه، وكان الصحابة يحرصون على حضور مجالس الرسول ﷺ حرصاً شديداً، يتعلمون

---

(١) انظر سبل السلام ص ١٨-١٩ ج٢.
(٢) انظر السيرة النبوية لابن هشام ص٤٣٥ ج١.
(٣) انظر نور اليقين ص٨٦-٨٧. وسيرة ابن هشام ص٥٠٠ وما بعدها ج١.

فيها القرآن الكريم وأحكام الإسلام، وكان ﷺ يتعهدهم بالموعظة، فإذا جلس جلس إليه أصحابه حلقاً حلقاً، قال أنس بن مالك رضي الله عنه: إنما كانوا إذا صلوا الغداة قعدوا حلقاً حلقاً، يقرؤون القرآن، ويتعلمون الفرائض والسنن[1]. ومن حياة الصحابة وتاريخهم العلمي نعلم أن الرسول الكريم لم يكن يضن على أحد بالعلم، وأنه كان يكثر مجالسة أصحابه يعلمهم ويزكيهم، حتى نبغ فيهم الأئمة المجتهدون في القرآن والتفسير والفقه والحديث، الذين نقلوا هذا كله إلى التابعين، فنشروه في الآفاق. وتناقله الخلف عن السلف وتدارسوه وحفظوه وعملوا به، وهذا من أبلغ أنواع الإعلام تأثيراً في حياة الفرد والجماعة.

وكانت مجالس الرسول ﷺ أسوة طيبة للمجالس العلمية، ولحلقات العلم التي كثرت واتسعت مع اتساع رقعة البلاد الإسلامية وكثرة المساجد فيها، زمن الصحابة والتابعين، ومن جاء بعدهم، وكثر الحضور كثرة تثلج بها الصدور، وتسعد لها النفوس، حتى ضمت حلقة الصحابي الجليل أبي الدرداء رضي الله عنه نيفاً وخمسمائة وألف طالب[2] إلى جانب حلقات غيره من شيوخ دمشق وعلمائها، وفي عهد عبدالملك بن مروان كان المسجد الحرام يغص بحلقات العلم، التي لا يحصى طلابها لكثرتهم[3]، وبلغ من يطلب الحديث في الكوفة أربعة آلاف طالب قبل سنة ثمانين من الهجرة[4]، واتسعت هذه الحلقات والمجالس فيما بعد حتى صارت تعقد في الرحبات الواسعة، واتخذ العلماء من يبلغ عنهم ليسمع الحاضرون، وكانت حلقات بعضهم لا

---

(١) انظر مجمع الزوائد ص١٣٢ ج١.
(٢) انظر التاريخ الكبير لابن عساكر ص٦٩ ج١.
(٣) انظر كتابنا أصول الحديث ص١٠٢ وما بعدها.
(٤) المحدث الفاصل بين الراوي والواعي فقره (٤٢٨) بتحقيقي.

يكفيها مبلغ واحد ولا اثنان، فقد بلغ عدد المبلغين في بعض الحلقات سبعة وأكثر من ذلك، يبلغ كل واحد منهم صاحبه الذي يليه[1]، بلغ الحاضرون في مجلس أبي اسحاق إبراهيم بن علي الهجيمي ثلاثين ألف رجل، وفي مجلس أبي مسلم الكجي أربعين ألف رجل سوى النظارة[2].

وهـذا أقصى ما يستطيع أن يفعله العلماء في ذلك العصر في ميدان الإعلام الإسلامي، وبيان أحكام الإسلام، وتثقيف المسلمين.

١٤ـ مصلى العيد:

شرع رسول الله ﷺ صلاة العيدين في مصلى العيد ليستوعب أكبر عدد ممكن من المسلمين، لأن المسجد يضيق بأهل المدينة، فكان يخرج يوم العيد إلى المصلى، وأول ما يبدأ به (الصلاة يوم الفطر والأضحى، ثم يقوم مقابل الناس وهم في صفوفهم فيعظهم ويوصيهم، ويأمرهم، وإن كان يريد أن يقطع بعثاً أو يأمر بشيء أمر به ثم ينصرف)[3].

وفي حديث جابر (قام متوكئاً على بلال، فأمر بتقوى الله تعالى، وحث على طاعتـه ووعظ الناس، وذكرهم، ثم مضى حتى أتى النساء فوعظهن وذكرهن..)[4]، وبهذا يتناول الإعلام أكثر قطاعات الأمة ومعظم أفرادها.

عن أم عطية رضي الله عنها قالت: (أمرنا النبي ﷺ أن نخرجهن في

---

(١) انظر كتابنا الوجيز في علوم الحديث ص٣٩٣ عن الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع فقره (١٢٢١) وفقره (١١٧٥) وما بعدها بتحقيقي.

(٢) انظر الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع فقرة (١١٧٥ و١١٧٨) والوجيز في علوم الحديث ص ٣٩٣.

(٣) أخرجه البخاري ومسلم والنسائي انظر جمع الفوائد ص٢٨٢ ج١.

(٤) أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي. انظر جمع الفوائد ص٢٨١ ج١.

الفطر والأضحى: العواتق، والحيض، وذوات الخدور، فأما الحيض فيعتزلن الصلاة، ويشهدن الخير ودعوة المسلمين. قلت: يا رسول الله: احدانا لا يكون لها جلباب، قال: لتلبسها أختها من جلبابها)(١). وقالت: (كنا نؤمر ان نخرج يوم العيد، حتى تخرج البكر من خدرها، حتى تخرج الحيض فيكبرن بتكبيرهم، ويدعون بدعائهم، يرجون بركة ذلك اليوم، وطهرته)(٢). وفي هذا تشجيع للنساء ليسمعن الخير، ويشاركن في أكبر مواسم الأمة وأعيادها، مع كمال الحشمة، وجمال الأدب.

ويخرج المسلمون إلى المصلى لصلاة الاستسقاء والكسوف، عن ابن عباس رضي الله عنهما - وقد سئل عن استسقاء الرسول ﷺ - فقال: خرج رسول الله ﷺ متبذلاً متواضعاً متضرعاً حتى أتى المصلى، فرقي المنبر، فلم يخطب خطبتكم هذه ولكن لم يزل في الدعاء والتضرع والتكبير، ثم صلى ركعتين كما يصلي في العيد (٣).

وعن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت: (شكا الناسُ إلى الرسول صلى الله عليه وسلم قحوط المطر، فأمر بمنبر فوضع له في المصلى، ووعد الناس يوماً يخرجون فيه، فخرج رسول الله ﷺ حين بدا حاجب الشمس فقعد على المنبر، فكبر وحمد الله ثم قال: إنكم شكوتم جدب دياركم، واستئخار المطر عن إبان زمانه عنكم، وقد أمركم الله سبحانه أن تدعوه، ووعدكم أن يستجيب لكم، ثم قال: «الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، لا إله إلا الله يفعل ما يريد، اللهم أنت الله، لا إله إلا أنت، الغني ونحن الفقراء، أنزل علينا الغيث، واجعل ما أنزلت

---

(١) أخرجه أصحاب الكتب الستة إلا مالكاً. انظر جمع الفوائد ص ٢٨٤ ج١.

(٢) أخرجه الامام أحمد وأبو يعلى والطبراني. انظر المرجع السابق ص ٢٨٤ ج١.

(٣) مجمع الزوائد ص٢١٢ ج٢.

لنا قوة وبلاغاً إلى حين» ثم رفع يديه فلم يزل في الرفع حتى بدا بياض إبطيه، ثم حَوَّل إلى الناس ظهره، وقلب أو حَوَّل رداءه، وهو رافعٌ يديه، ثم أقبل على الناس ونزل فصلى ركعتين، فأنشأ الله عز وَجلَّ سحابة، فرعدت وبرقت، ثم أمطرت بإذن الله تعالى، فلم يأت مسجده حتى سالت السيول، فلما رأى سرعتهم إلى الكِنّ[1]، ضحك صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه، فقال: «أشهد أن الله على كل شيء قدير، وأني عبدالله ورسوله»[2].

إن مثل هذا لم يقتصر على الإعلام والبيان، بل تجاوزه إلى مشاركة المسلمين عملياً مشاركة فعالة، تترك آثارها الوجدانية العميقة في النفوس، وتنعكس على حياة الناس، وهذا أقصى ما تتقياه اجهزة الإعلام ومؤسساته ووسائله في هذا العصر، ولا يمكن أن يقارن به الاتصال الجماهيري المعاصر.

١٥ـ الوفود الداخلية:

كان بعض المسلمين يفد على الرسول ﷺ من أطراف الجزيرة العربية من حواضرها وباديتها ومنازل قبائلها، فيقيمون عنده ويتعلمون بعض القرآن الكريم وما شاء الله تعالى لهم أن يتعلموا من أحكام الإسلام، ثم يعودون إلى أقوامهم وقبائلهم بما عملوا وتعلموا، فيكونون لسان الإسلام فيهم، من هذا ما رواه البخاري عن مالك بن الحويرث رضي الله عنه قال: (أتينا النبي ﷺ ونحن شببةٌ متقاربون فأقمنا عنده عشرين ليلة، فظنّ أنا

---

(١) الكن بكسر الكاف وتشديد النون، وجمعها أكنان السُترةُ والغطاء، وكل ما يرد به الحر والبرد من المساكن.

(٢) أخرجه أبو داود باسناد حسن وأبو عوانه وابن حبان والحاكم وصححه ابن السكن، انظر جمع الفوائد ص٢٩٠ ج١.

اشتقنا أهلنا، وسألنا عمن تركنا في أهلنا، فأخبرناه، وكان رفيقاً رحيماً، فقال: «ارجعوا إلى أهليكم فعلموهم ومروهم، وصلوا كما رأيتموني أصلي، وإذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدكم، ثم ليؤمكم أكبركم»[1].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قدم وفد عبدالقيس على رسول الله ﷺ، فقال: مرحباً بالقوم غير خزايا ولا الندامى، وقال رسول الله ﷺ لأشيخ عبدالقيس: «إن فيك خصلتين يحبهما الله: الحلم والأناة»[2].

وكان لبني عبدالقيس وفادتان على رسول الله ﷺ، احداهما سنة خمس من الهجرة أو قبلها، وكانت قريته بالبحرين، وهي أول قرية أقيمت فيها الجمعة بعد المدينة، وكان عدد الوفد الأول ثلاثة عشر رجلاً[3]، وممن وفد قبل الحديبية على الرسول ﷺ أربعمائة من قبيلة مزيفة في رجب من السنة الخامسة[4]: والوفود الداخلية إلى الرسول ﷺ أكثر من أن تحصى وبخاصة بعد صلح الحديبية.

---

(١) صحيح البخاري بحاشية السندي ص٥٢ ج٤.

(٢) أخرجه مسلم.

(٣) انظر فتح الباري ص١٤٧ ج٩. ومما يؤكد وفادة عبدالقيس قبل الحديبية قوله يا رسول الله: إن بيننا وبينك المشركين من مضر، وإنا لا نصلُ إليك إلا في الشهر الحرام فحدثنا بجميل من الأمر إن عملنا به دخلنا الجنة، وندعو به من وراءنا قال: آمركم بأربع وأنهاكم عن أربع: الايمان بالله، هل تدرن ما الايمان بالله؟ شهادة أن لا إله إلا الله، وإقام الصلاة، وايتاء الزكاة، وصوم رمضان، وأن تعطوا من المغانم الخمس، وأنهاكم عن أربع، ما ينتبذ في الدباء والحنتم والمزقت» وهي أوان كانوا ينتبذون فيها، وانظر البداية والنهاية ص٤٦ ج٥.

(٤) فجعل لهم الرسول ﷺ الهجرة في دارهم وقال: «أنتم مهاجرون حيث كنتم فارجعوا إلى أموالكم» فرجعوا إلى بلادهم، ولما كان يوم الفتح كانوا ألفاً، انظر البداية والنهاية ص٤١ ج٥.

١٦- صلح الحديبية :

في آخر السنة السادسة من الهجرة أذن الله تعالى للرسول ﷺ بأن ييمم شطر البيت العتيق معتمراً، إذ رأى ﷺ في نومه أنه دخل هو وأصحابه المسجد الحرام، آمنين محلقين رؤوسهم ومقصرين، فأخبر المسلمين أنه يريد العمرة، واستنفر الأعراب من أهل البوادي حول المدينة، وخرج رسول الله ﷺ بمن معه من المهاجرين والأنصار، وقد قارب عددهم ألفاً وخمسمائة، لأن بعض الأعراب أبطأ عليه وظنوا ألا ينقلب الرسول والمؤمنون إلى أهليهم، واعتذروا عن ابطائهم باشتغالهم بأموالهم وأهليهم، وطلبوا من الرسول ﷺ أن يستغفر لهم. وساق الرسول ﷺ الهدى ليعلم الناسُ أن مقصده العمرة لا الحرب، فلم يكن مع الصحابة إلا السيوف في أغمدتها، حتى وصلوا عسفان، على مرحلتين من مكة المكرمة، فجاءه عينه يخبره بأن قريشاً علمت بمقدمه وأجمعت رأيها على أن يصدوا المسلمين عن مكة، وألا يدخلوها عليهم عنوة أبداً، وأرسلوا طليعةً مائتي فارس بقيادة خالد بن الوليد، ليصدوا المسلمين عن التقدم، فقال رسول الله ﷺ من رجل يخرج بنا على طريق غير طريقهم التي هم بها؟، فقال رجل من أسلم: أنا يا رسول الله، فسلك بهم طريقاً وعراً انتهى بهم إلى مهبط الحديبية من أسفل مكة، فلما رأى المشركون ما فعل المسلمون ركضوا إلى قريش وأخبروهم الخبر، ولما كان الرسول ﷺ في ثنية المرار مهبط الحديبية بركت ناقته، فزجروها فلم تقم.. فقال ﷺ حبسها حابس الفيل عن مكة، لا تدعوني قريش اليومَ، إلى خطة يسألونني فيها صِلةَ الرحم إلا أعطيتهم إياها، ثم قال للناس انزلوا، فنزلوا في أقصى الحديبية، ولم يكن بالوادي ماء، فأعطى رجلاً سهماً من كنانته فغرزه في قليب (بئر) فجاش بالماء الغزير. ثم جاءه رسول قريش بديل بن ورقاء الخزاعي فسأله عن سبب مجيئه بالمسلمين، فأخبره ﷺ: أنه لم يأتِ يريد حرباً، وإنما جاء

زائراً للبيت ومعظماً لحرمته، فرجع إلى قريش وأخبرها بذلك، فلم يثقوا به لأنه من بني خزاعة وهم موالون للرسول ﷺ[1] وقالوا (فوالله لا يدخلها علينا عنوة أبداً، ولا تحدث بذلك عنا العرب).

ثم أرسلوا حليس بن علقمة سيد الأحابيش من بني عبد الحارث، وهم حلفاء قريش، فلما رآه الرسول ﷺ قال: هذا من قوم يتألهون - أي يعظمون أمر الله - فابعثوا الهدي في وجهه حتى يراه، فلما رأى (الهدي يسيل عليه من عرض الوادي في قلائده رجع إلى قريش غاضباً وقال: يا معشر قريش، والله ما على هذا حالفناكم، ولا على هذا عاقدناكم، أيُصد عن بيت الله من جاء معظماً له!!؟ والذي نفسُ الحُليس بيده لَتُخَلُّنَّ بين محمد وبين ما جاء له، أو لأنفرن بالأحابيش نفرة رجل واحد. فقالوا له: إنما أنت أعرابي لا علم لك، كف عنا يا حُليس حتى نأخذ لانفسنا ما نرضى به)[2]. وتتالى مبعوثو قريش، وكان منهم عروة بن مسعود الثقفي، الذي رأى من تعظيم الصحابة للرسول ﷺ ما لم يره لعظيم قوم، فعاد إلى قريش وقال: (يا معشر قريش، إني قد جئت كسرى في ملكه، وقيصر في ملكه، والنجاشي في ملكه، وإني والله ما رأيت ملكاً في قوم قط مثل محمد في أصحابه، ولقد رأيت قوماً لا يسلمونه لشيء أبداً، فَرَوا رأيكم)[3] (إنه عرض عليكم رشداً فاقبلوا ما عرض عليكم فإني لكم ناصح، مع أني خائف ألا تنصروا عليه. فقالت قريش: لا تتكلم بهذا، ولكن نرده عامنا ويرجع إلى قابل)[4].

---

(١) انظر سيرة ابن هشام ص٣٠٨-٣١٢، ونور اليقين ص١٨٦ وما بعدها، وانظر فتح القدير تفسير سورة الفتح ص٤٣-٥٨ ج٥.
(٢) السيرة النبوية لابن هشام ص٣١٢ ج٣.
(٣) المصدر السابق ص٣١٤ ج٣.
(٤) نور اليقين ص ١٨٨ ومختصر تفسير ابن كثير ص٣٤٣ ج٣.

وأرسل ﷺ عثمان بن عفان رسولاً إلى قريش حتى يعلمهم مقصده، في عشرة من المسلمين، وأمره أن يلقى المستضعفين من المؤمنين في مكة، ويبشرهم بقرب الفتح، فبلغ قريشاً ما أمر به، فقالوا: إن محمداً لا يدخلها علينا عنوة أبداً، وأذنوا له أن يطوف بالبيت، فأبى وقال: لا أطوف ورسول الله ﷺ ممنوع،، واحتبسته قريش عندها، فشاع بين المسلمين أنه قتل، فكانت بيعة الرضوان[1]، حيث بايع المسلمون الرسول ﷺ على القتال، فخافت قريش وأرسلت مندوبها في مصالحة الرسول ﷺ، وتم صلح الحديبية[2]، الذي يعده أكابر الصحابة والمؤرخين الفتح الحقيقي، ونصراً عظيماً للمسلمين، حيث اعترفت قريش بدولة الإسلام، فمن أراد من القبائل أن يدخل في حلف الرسول فليدخل، ومن أراد أن يدخل في عهد قريش دخل فيه، على أن يعود الرسول ﷺ للعمرة العام القادم، وغير ذلك من الشروط التي تكفلت كتب المغازي والسير ببيانها. وكان عثمان رضي الله تعالى عنه قد رجع مع العشرة الذين معه قبل كتابة الصلح وشروطه على نسختين نسخة للمسلمين، ونسخة لقريش، وبعد ذلك تحلل المسلمون ونحروا هديهم ورجعوا إلى المدينة المنورة على أن يعودوا في العام القادم معتمرين ونزلت في هذا سورة الفتح[3].

تلك لمحة موجزة حول صلح الحديبية، لتلقي الأضواء على الناحية الإعلامية التي حققتها مسيرة الرسول ﷺ إلى الحديبية، والتي أعقبها هذا الصلح العظيم الآثار، والذي يدل على حكمة الرسول ﷺ وبعد نظره، فحطم القيود التي كان المشركون قد أحاطوهم بها خارج المدينة، يحولون بينهم

---

(١) انظر سيرة ابن هشام ص٣١٥-٣١٦ ج٣.
(٢) انظر جمع الفوائد ص ١٢٥ وما بعدها ج٢ وسيرة ابن هشام ص٣١٦-٣٢٠ ج٣.
(٣) انظر مختصر تفسير ابن كثير ص٣٣٩ ج٣.

وبين قبائل العرب ووفودها، فأمن الناس، وزالت هيمنة قريش على قبائل العرب والأحلاف، مما سهل على وفود الرسول ﷺ ورسله وبعوثه الانطلاق في مشارق الجزيرة العربية ومغاربها، والدعوة إلى الله عز وجل وبيان الإسلام وأحكامه.

إن إقامة المسلمين في الحديبية تلك الفترة الزمنية، وقدوم مبعوثي قريش ووقوفهم على حقيقة مقصد المسلمين من قدومهم إلى مكة، ورؤيتهم الرسول ﷺ في أصحابه معظماً مكرماً، والتفاف المسلمين حوله بإيمان وقوة ـ ألقى الرعب في نفوس المشركين، وحمل حلفاءهم على أن ينكروا عليهم منعهم المسلمين من تعظيم شعائر الله، حتى إن الحليس سيد الأحابيش هددهم بأن يخلوا بين الرسول وصحبه وما أرادوا أو لينفرن بالأحابيش نفرة رجل واحد. لقد كان في هذا اللقاء أبلغ صور الاعلام المؤثرة وأقوى وسائله الفعالة في النفوس، مما أثر على خصوم النبي ﷺ فخلخل صفوفهم، وأوهن أحلافهم، ومثل هذا يقال فيما نقله عروة بن مسعود الثقفي من حقائق عظيمة حول تضامن المسلمين، وفدائهم الرسول ﷺ وتعظيمهم إياه بما لم يسبق لعروة أن رآه لملك أو عظيم، مما كان له الأثر البعيد في عدول قريش عن عنادها واتباعها سبيل الرشد في مصالحة المسلمين. وَقلَّ أن تجد مثل هذا التأثير للإعلام في عصرنا هذا مع كثرة وسائله وتعدد أنواعه.

كل هذا إلى جانب ما كان لزيارة عثمان رضي الله عنه وأصحابه العشرة للمستضعفين، وتبشيرهم بقرب الفتح، وإعلامهم بأحوال المسلمين، وما هم عليه من منعة وقوة وسداد. مما قوى عزيمتهم، وشحذ همتهم، ورفع من معنوياتهم بما لا يعلمه إلا الله عز وجل لقد كان صلحاً حكيماً مشرفاً انتهى إلى النصر المؤزر وتحرير الجزيرة العربية من براثن الشرك، وطغيان العصبية والميل والهوى، وشق طريق النور والهدى الى خارج الجزيرة حيث انتشر

الإسلام، وساد الحق وعم العدل، ودحر الظلم.

١٧ـ رسله ﷺ وبعوثه وولاته:

أصبحت المدينة المنورة بعد الهجرة مركز الدولة الإسلامية، وقاعدة الدعوة تنبعث منها أنوار الهداية إلى الآفاق، فتتلاشى أمامها ظلمات الشرك، وتتهاوى أصنامه، وتتقوض عروش الطغيان، فمن المدينة المنورة انطلق رسل النبي ﷺ إلى القبائل القريبة والنائية، يدعونهم إلى الإسلام، ويعلمونهم أحكامه وتشريعاته، إثر صلح الحديبية، بعدما كانت قريش تحول بين القبائل المسلمة، والنبي ﷺ. وكان الرسول ﷺ يوجه رسله ويرشدهم ويعلمهم أصول الدعوة ويأمرهم أن يدعوا إلى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة، ومن ذلك وصيته لمعاذ بن جبل ولأبي موسى الأشعري عندما وجههما إلى اليمن[١]، قال ﷺ: «يسرا ولا تعسرا، وبشرا ولا تنفرا» وفي رواية «إذا غضب أحدكم فليصمت»[٢]. وقال لمعاذ بن جبل رضي الله عنه: «إنك ستأتي قوماً من أهل الكتاب، فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله، افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد في فقرائهم، فإن هم أطاعوا لذلك فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب»[٣].

وقد كانت رسله وبعوثه ﷺ وولاته خير من يحمل الرسالة، ويؤدي الأمانة، ويقوم بالدور الإعلامي المناسب لذلك كله، ويجمع خصائص الاعلام الإسلامي التي أسلفنا ذكرها، من أمانة النقل، وصدق الحديث،

---

(١) انظر صحيح البخاري بحاشية السندي ص٢٧ ج٣.

(٢) أخرجه الإمام أحمد والبخاري، انظر كتابنا قبسات من هدي النبوة ص١٢.

(٣) صحيح مسلم ص٥٠ حديث ٢٩ و٣٠ ج١.

والنزاهة، والموضوعية العلمية.

وفي السنـة السادسة كثرت بعوث الرسول ﷺ، فقد وجه بعد صلح الحـديبية رسله إلى الملوك والامـراء، يحملون إليهم كتبه، ففي يوم واحد انطلق ستة نفر إلى جهات مختلفة يتكلم كل واحد منهم بلسان القوم الذين بعث إليهم[1].

فقد اشتهر أنه أرسل رسله إلى قيصر الروم[2]، وإلى أمير بصرى، والى الحارث بن أبي شمر أمير دمشق من قبل هرقل، وإلى المقوقس أمير مصر من قبل هرقل، يدعوهم إلى الإسلام، كما وجه كتبه إلى كسرى ملك الفرس، وإلى المنذر بن ساوى ملك البحرين، وأرسل كتبه ورسله إلى عمان واليمامة وغيرها، وكان الرسل يجيبون عما يسألهم عنه الملوك والأمراء وزعماء القبائل، ويبينون لهم الإسلام وغايته، من خلال ما تلقوه بين يدي النبي ﷺ وتعلموه، وعـلى أسس ما كان يزودهم به الـرسول ﷺ من التوجيه والارشاد. وكان الرسول ﷺ يولي على كل قوم قبلوا الإسلام كبيرهم، أو زعيمهم، ويمدهم بمن يفقههم ويعلمهم[3]. فأرسل مصعب بن عمير، وعبدالله بن أم مكتوم مع الأنصار عقب بيعة العقبة الأولى، يقرآنهم القرآن الكريم، ويفقهانهم في الدين، وأرسل أبا هريرة رضي الله عنه مع العلاء الحضرمي أمير البحرين رضي الله عنه[4]، وأرسل أبا عبيدة بن الجراح رضي الله عنه مع وفد نجران[5].

---

(١) انظر المصباح المضيء ص٤٠.

(٢) انظر طبقات ابن سعد ص٧٦-٧٧ ج٤ قسم ٢ وص٧٩ منه، والبداية والنهاية ص ١١٣ ج٨.

(٣) انظر سيرة ابن هشام ص١٧ ج٤.

(٤) انظر كتابنا أبو هريرة راوية الإسلام ص٧٣ الطبعة الثالثة.

(٥) انظر فتح الباري ص١٥٧ ج٩.

وَكُتبُ الرسول ﷺ إلى ولاته وعماله كثيرة جداً، فقد اشتهر كتابه للعلاء الحضرمي في الصدقات، وكتابه لعمرو بن حزم عامله على اليمن وفيه أصول الإسلام، وطريق الدعوة إليه، وبيان العبادات وأنصبة زكاة الإبل والبقر والغنم، والجزية على غير المسلمين. واشتهر كتابه إلى ملوك حمير وفيه أصول الدين والصدقات والديات والجروح وغيرها(١) ونكتفي هنا بذكر كتابه إلى هرقل عظيم الروم. وكتابه إلى المنذر بن ساوى، وكتابه إلى ملكي عمان.

١ـ كتابه إلى هرقل عظيم الروم:

أخرج الامام مسلم في حديث طويل عن أبي سفيان أنه في المدة التي كانت بينه وبين رسول الله ﷺ ـ يعني صلح الحديبية ـ انطلق إلى الشام وبينا هو فيها إذ جيء بكتاب من رسول الله ﷺ إلى هرقل. فسأل هرقل عن أحد من قوم النبي ﷺ فدعي أبو سفيان في نفر من قريش، وكان بين هرقل وبينه أسئلة وإجابات وفي نهاية ذلك قال هرقل: ولو أني أعلمُ أني أخلص إليه لأحببتُ لقاءه، ولو كنت عنده لغسلتُ عن قدميه. وليَبْلُغَنَّ مُلْكُهُ ما تحت قدميَّ. ثم دعا بكتاب رسولِ اللهِ ﷺ فقرأه فإذا فيه «بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم. سلامٌ على من اتبع الهدى. أما بعد، فإني أدعوك بدعاية الإسلام. أسلم تسلم. وأسلم يُؤتِكَ اللهُ أجرك مَرَّتين، وإن تَوَلَّيْتَ فإن عليك إثم الأريسيين(٢). ﴿ويا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمةٍ سواءٍ بيننا وبينكم أن لا نعبُدَ إلا الله ولا نُشرِكَ به

---

(١) انظر كتابنا أصول الحديث ص١٨٩ والوثائق السياسية للدكتور حميدالله ص٣٧ و ١١١، وغيرها وانظر البداية والنهاية ص١٨٠ ج٤.

(٢) الاريسيون جمع اريسي وهو الاكار الغلام. والمعنى إن عليك إثم رعاياك الذين يتبعونك وينقادون بانقيادك، وذكر هؤلاء دون غيرهم من الرعايا لأنهم الأغلب ولأنهم أسرع انقياداً.

شيئاً، ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تَوَلّوا فقولوا اشْهدوا بأنّا مسلَمون﴾ [آل عمران: ٢٢-٦٤].

فلما فرغ من قراءة الكتاب ارتفعتِ الأصواتُ عنده وكثُرَ اللَّغَطُ [١]، وأمَرَ بنا فأخرجنا.

قال أبوسفيان: فقلت لأصحابي حين خرجنا لقد أمِرَ أمْرُ ابن أبي كبشَة[٢]. إنه لَيَخافُهُ مَلِكُ بني الأصفر.

قال: فما زلتُ موقناً بأمر رسولِ اللهِ ﷺ أنه سيظهَرُ حتى أدخل الله عليَّ الإسلام. اخرجه مسلم[٣].

٢ـ كتاب الرسول ﷺ إلى المنذر بن ساوى:

وجه الرسول ﷺ العلاء بن الحضرمي بكتاب إلى المنذر بن ساوى ملك البحرين دعاه فيه إلى الإسلام وفيه: «بسم الله الرحمن الرحيم. سلم أنت فإني أحمد إليك الله، الذي لا إله إلا هو. أما بعد فإن مَنْ صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا، وأكل ذبيحتنا فذلك المسلم له ذمة الله وذمة الرسول، من أحب ذلك من المجوس فإنه آمن، ومن أبى فإن عليه الجزية» فأسلم وكتب إلى الرسول ﷺ: (أما بعد يا رسول الله فإني قرأتُ كتابك على أهل البحرين، فمنهم من أحب الإسلام وأعجبه ودخل فيه، ومنهم من كرهه، وبأرضي مجوسٌ ويهود فأحدث إليَّ في ذلك أمرك).

---

(١) اللغط: بفتح اللام والغين أيضاً الأصوات المختلطة.

(٢) أمر أمْـرُ بن أبي كبشه: أي عظمَ. ابن أبي كبشة قيل رجل من خزاعة كان يعبد الشعرى ولم يوافقه أحد من العرب في عبادتها. فشبهوا النبي ﷺ به لمخالفته إياهم في دينهم، كما خالفهم أبو كبشة.

(٣) انظر صحيح مسلم ص١٣٩٣-١٣٩٧ ج٣.

فكتب الرسول ﷺ : «بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى المنذر بن ساوى، سلام عليك، فإني أحمد الله إليك الذي لا إله إلا هو، وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، أما بعد فإني أذكرك الله عز وجل، فإنه من ينصح لنفسه، وإنه من يطع رسلي ويتبع أمرهم فقد أطاعني، ومن نصح لهم فقد نصح لي، وإن رسلي قد أثنوا عليك خيراً، وإني شفعتك في قومك، فاترك للمسلمين ما أسلموا عليه، وعفوت عن أهل الذنوب، فاقبل منهم، وإنك مهما تصلح فلن نغيرك عن عملك، ومن أقام على يهوديته أو مجوسيته فعليه الجزية»(١).

إن من يمعن النظر في هذه الكتب يدرك أهميتها من الناحية الإعلامية وأثرها البعيد في التغيير الاجتماعي، ومدى الحرية التي كان يتمتع بها غير المسلمين، وما أروع دلالة عبارة المنذر بن ساوى (قرأت كتابك على أهل البحرين فمنهم من أحب الإسلام وأعجبه ودخل فيه، ومنهم من كرهه)، في الدعوة إلى الإسلام، والدخول فيه عن رغبة وطواعية بعيداً عن أي إكراه.

٣ـ كتاب الرسول ﷺ إلى ملكي عمان:

وجه الرسول ﷺ عمرو بن العاص بكتاب إلى جيفر وعبد ابني الجلندي ملكي عمان وفيه (بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى جيفر وعبد ابني الجلندي. سلام على من اتبع الهدى. أما بعد فإني أدعوكما بدعاية الإسلام. اسلما تسلما، فإني رسول الله إلى الناس كافة، لأنذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين. وإنكما إن أقررتما بالإسلام وليتكما، وإن أبيتما فإن ملككما زائل، وخيل تحل بساحتكما، . وتظهر نبوتي على ملككما).

(١) نور اليقين ص٢٠٠، وانظر السيرة النبوية لابن هشام ص٥٧٦ ج٤ والبداية والنهاية ص١٨٠ ج٤.

فسأل عبد بن الجلندي عمراً عما يأمر به الرسول وينهى فقال: يأمر بطاعة الله عز وجل وينهى عن معصيته، ويأمر بالبر وصلة الرحم، وينهى عن الظلم والعدوان والزنا، وشرب الخمر، وعن عبادة الحجر والوثن والصليب، فقال: ما أحسن هذا الذي يدعو إليه، ولو كان أخي يتابعني لركبنا حتى نؤمن بمحمد، ونصدق به، ولكن أخي أضن بملكه من أن يدعه ويصير تابعاً. فقال عمرو: إن أسلم أخوك مَلَّكه رسول الله على قومه، فأخذ الصدقة من غنيهم فردها على فقيرهم. فقال عبد: إن هذا الخلق حسن.. وتكلم عمرو مع جيفر بالحكمة والموعظة الحسنة. بما ألان قلبه وأسلم الملكان الأخوان(1).

وإن رسل النبي ﷺ إلى المقوقس والنجاشي وغيرهما، وكتبه إليهم، وما دار بين الملوك والأمراء وبين مبعوثي النبي ﷺ من حوار، وسؤال وجواب ـ يؤكد أهمية سفارات النبي ﷺ وأثرها الإعلامي البعيد في بيان حقيقة الدعوة والإيمان والإسلام، وما جاء به من رحمة وتضامن وخلق كريم، فمهدت الطريق أمام الشعوب المظلومة إلى الإيمان، ونور الإسلام، والخلاص من ظلم الجاهلية وظلامها.

١٨ ـ عمرة القضاء:

بعد سنة من صلح الحديبية خرج الرسول ﷺ وخرج معه ممن كان قد صُدَّ عن البيت في السنة السابقة، فلما سمع به أهل مكة خرجوا عنه، وتحدثت قريش أن محمداً وأصحابه في عُسرةٍ وجهد وشدة، وتغيب رجال من أشراف المشركين حتى لا يروا الرسول ﷺ، غيظاً وحنقاً وحسداً، وقال المشركون: إنه يقدم عليكم وفدٌ قد وهنتهم حمى يثرب. فقال رسول الله ﷺ

(1) انظر نور اليقين ص٢٠١-٢٠٢.

لمن معه: «رحم الله امرأً أراهم من نفسه قوةً» وأمرهم بالاضطباع ـ الكشف عن العضد اليمنى مظهر القوة ـ والرمل ـ الهرولة ـ في الأشواط الثلاثة الأولى، تكذيباً لدعواهم وافتراءاتهم، وقد صَفَّ من بقي من رجال المشركين ونسائهم وصبيانهم في مكة عند دار الندوة، لينظروا إلى الرسول ﷺ وإلى أصحابه، وهم يطوفون بالبيت، مهللين مكبرين داعين بقوة ونشاط، فقضى رسول الله ﷺ نسكه، وأقام في مكة ثلاثة أيام ثم خرج عنها، وكان هذا في ذي القعدة من السنة السابعة.

كانت دلالة حال المسلمين أقوى من مقالهم في تكذيب ما ادعاه المشركون، وفي تعظيم شعائر الله عز وجل، ومما لا شك فيه أنه خلال إقامتهم في مكة ثلاثة أيام كانوا قد التقوا بالمستضعفين من المسلمين، وبشروهم بقرب الفتح، وأخبروهم بكل جديد في الإسلام، بدليل خروج ابنة حمزة رضي الله تعالى عنها، والسيدة ميمونة رضي الله عنها مع المسلمين[1]، ولا تستبعد لقاءات بعض المسلمين بذويهم، أو ببعض المشركين، وفي كل هذا من الفرص الإعلامية ما لا يخفى.

١٩ـ فتح مكة:

من أكبر المناسبات الإعلامية وأوسعها شمولاً وأطولها مدة، في عهد الرسول ﷺ، تلك المناسبة العظيمة فتح مكة المكرمة، ففي السنة الثامنة من الهجرة نقضت قريش صلح الحديبية، فدعا رسول الله ﷺ القبائل المسلمة أن تحضر رمضان في المدينة المنورة، وانطلق بعشرة آلاف مجاهد إلى مكة، وقوض الوثنية، وحطم الأصنام، ثم قام خطيباً في ألوف المسلمين والمشركين،

---

(١) انظر سيرة ابن هشام ص٣٧٠ ج٢ والبداية والنهاية ص٢٢٦-٣٢ ج٤، وجمع الفوائد ص١٣٥ ج٢.

فعفا عن أعدائه الذين اضطهدوه وآذوه، ثم أعلن كثيراً من الأحكام، منها ألا يقتل مسلم بكافر، ولا يتوارث أهل ملتين مختلفتين، ولا تنكح المرأة على عمتها أو خالتها . . ثم أقبل المسلمون يبايعون رسول الله ﷺ[1] .

ومما لا شك فيه أن هذا اللقاء العظيم بين المسلمين جميعاً ورسولهم ﷺ أتاح فرصة واسعة أمام كثيرين ممن جاؤوا من مختلف البلاد، فتيسر لهم سماع كثير عن الإسلام وأحكامه، وأتيح لهم أن يسألوه ويستفتوه في كل ما يحتاجون إليه من أمور دينهم، كما أتاحت هذه الفرصة اللقاء بين جميع المسلمين من مختلف أنحاء الجزيرة، والاطمئنان عن أحوالهم وأمورهم، ومثل هذه اللقاءات تسهل تناقل أخبار الدعوة وأمورها، وبيان أحكامها وكل ما يتعلق بها .

وكان بين خروج النبي ﷺ بعشرة آلاف مجاهد من المدينة المنورة لعشر مضين من رمضان ورجوعه إليها في أواخر ذي العقدة أو في ذي الحجة نحو ثمانين يوماً بين حل وترحال، وظعن واستقرار، يلتف حوله في مجالسه مئات المسلمين، ويجتمع عليه في خطبه ألوف الناس، يتناقلون ما يسمعون، ويخبرون بما يرون، ويطبقون ما يتعلمون، إنه لون من ألوان الإعلام فريد، يجمع بين المسموع والمنظور، تتجاوب معه النفوس، فتنزع إلى العمل والتطبيق، ولا أدل على ذلك من صيام الرسول ﷺ وصيام الناس معه، وافطاره وافطار الناس معه قريباً من مكة قبل فتحها، وطوافه بالبيت وطواف الناس معه إلى غير ذلك من العبادات والأحكام العملية[2] . .

---

(١) انظر كتابنا اصول الحديث ص٧٦ . وسيرة ابن هشام ص٣٩٧ وما بعدها وص٤١١ ج٤ ، والبداية والنهاية ص٢٩٢ ج٤ وما بعدها .

(٢) انظر سيرة ابن هشام ص٤٠٠ ج٤ وص٤١١ ج٤ .

كان الفتح الأعظم، فتح مكة حدثاً تاريخياً عظيماً، نقلته جموع غفيرة، ونقلت معه خطبة الرسول ﷺ إلى الآفاق، ونقلوا دقائق أمور تلك الأيام وعظائمها، كما نقل المسلمون الجدد ما سمعوا من ارشاد وتوجيه، وما تعلموه من أمور الدين إلى أهليهم وذويهم في مكة وغيرها، من حواضر الجزيرة العربية وبواديها.

٢٠ـ حج أبي بكر رضي الله عنه بالناس السنة التاسعة: [١].

في أواخر ذي العقدة من السنة التاسعة بعث الرسول ﷺ أبا بكر أميراً على الحج، ليقيم للمسلمين حجهم، والناس من أهل الشرك على منازلهم من حجهم، فخرج أبو بكر ومن معه من المسلمين، ثم نزلت أوائل سورة براءة على الرسول ﷺ، فأرسل بها علياً ليبلغها للناس، فقال له: «اخرج بهذه القصة من صدر براءة، وأذن في الناس يوم النحر إذا اجتمعوا بمنى، أنه لا يدخل الجنة كافر، ولا يحجُّ بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان، ومن كان له عند رسول الله ﷺ عهد فهو له إلى مُدّته، فخرج علي رضي الله عنه على ناقة رسول الله ﷺ العضباء، حتى أدرك أبا بكر بالطريق، فلما رآه أبو بكر بالطريق قال: أأمير أم مأمور؟ فقال: بل مأمور، ثم مضيا، فأقام أبو بكر للناس الحج، والعرب إذ ذاك في تلك السنة على منازلهم من الحجّ، التي كانوا عليها في الجاهلية، حتى إذا كان يوم النحر، قام علي رضي الله عنه، فأذن بالناس بالذي أمره به رسول الله ﷺ[٢].

وكان أبو بكر وعلي يطوفان بالناس في ذي المجاز وفي أمكنتهم التي كانوا

---

(١) انظر مختصر تفسير ابن كثير ص١٢٣ ج٢، وسيرة ابن هشام ص٥٤٣ ج٤، والبداية والنهاية ص٣٦ ج٥ وما بعدها.

(٢) سيرة ابن هشام ص٥٤٥ـ٥٤٦ ج٤.

يتبايعون بها وبالمواسم كلها، فآذنوا أصحاب العهد بأن يؤمنوا أربعة أشهر[1] من يوم أُذِّنَ فيهم، ليرجع كل قوم إلى مأمنهم أو بلادهم، ثم لا عهد لمشرك ولا ذمة إلا أحدٌ كان له عند رسول الله ﷺ عهد إلى مدة، فهو إلى مدته. فلم يحج بعد ذلك العام مشرك، ولم يطف بالبيت عُريان[2].

ففي هذه الحجة من المواقف والمناسبات الإعلامية أمور كثيرة، تتناول أداء المناسك وارشاد الحجيج وإمامتهم، والخطبة فيهم يوم عرفة، وتوجيههم يوم النحر وأيام التشريق مما هو مفصل في أحكام الحج. هذا، إلى جانب هذا الإعلام العظيم الأثر، البالغ الأهمية، الذي قام به علي رضي الله عنه، بتلاوة صدر سورة براءة على مسامع جميع الحجاج المسلمين وغير المسلمين، وما قام به مع أبي بكر رضي الله عنهما من الطواف على منازل الناس وأماكنهم لإيذانهم وإعلامهم بما أنزل على الرسول ﷺ.

٢١ـ الوفود والبعوث بعد فتح مكة:

قال ابن اسحاق (لما افتتح رسول الله ﷺ مكة، وفرغ من تبوك، واسلمت ثقيف وبايعت، ضربت إليه وفود العرب من كل وجه)[3] وكان ذلك في السنة التاسعة حتى سميت سنة الوفود لكثرة من قدم على الرسول ﷺ من أطراف الجزيرة.

قال ابن اسحاق رحمه الله: (وإنما كانت العرب تَرَبَّصُ بالإسلام أمر هذا الحيِّ من قُريش وأمر رسول الله ﷺ، وذلك أن قريشاً كانوا إمام الناسِ وهاديهم، وأهل البيت الحرام، وصريح ولد اسماعيل بن إبراهيم عليهما

---

(١) مختصر تفسير ابن كثير ص١٢٤ ج٢.
(٢) انظر سيرة ابن هشام ص٥٤٦ ج٤.
(٣) السيرة النبوية لابن هشام ص٥٥٩ ج٤.

السلام، وقادة العرب، لا ينكرون ذلك، وكانت قريش هي التي نصبت لحرب رسول الله ﷺ وخلافه، فلما افتتحت مكة، ودانت له قريش، ودوّخها الإسلام، وعرفت العربُ أنه لا طاقة لهم بحرب رسول الله ﷺ ولا عداوته، فدخلوا في دين الله، كما قال عز وجل أفواجاً، يضربون اليه من كل وجه، يقول الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿إذا جاء نصر الله والفتح، ورأيتَ الناسَ يدخلونَ في دين الله أفواجاً، فسبّح بحمد ربِّك واستغفره إنه كان تواباً﴾ أي فاحمد الله على ما أظهر من دينك، واستغفره إنه كان توابا)(١).

وهكذا أقبلت وفود القبائل من سائر أطراف الجزيرة العربية، من كل حدب وصوب، يبايعون الرسول ﷺ، وينضمون تحت لوائه، وكان رسول الله ﷺ يرحب بالوافدين، ويكرمهم، ويتكلم فيهم ويشجعهم، ويزودهم بنصائحه وارشاداته، وكانت بعض الوفود تقيم عنده أياماً، ترى هديه في عبادته، وسلوكه وآدابه، ثم تعود إلى قبائلها تبلغهم ما سمعوا وتروي لهم ما رأوا، تبلغهم بعض أحكام الدين، ومن هذه الوفود وفد ضمام بن ثعلبة، الذي علمه الرسول ﷺ الإسلام فعاد إلى قومه ودعاهم فأسلموا، ووفد عبدالقيس، ووفود بني حنيفة وطيء وكنده وأزدشنوءه، ووفد رسول ملوك حمير، الذين اسلموا وأرسلوا رسولهم بذلك إلى الرسول ﷺ، فبعث إليهم رسول الله ﷺ كتاباً يخبرهم أنه علم باسلامهم، ويحثهم على طاعة الله والتمسك بدينه، وفيه وصيته لهم برسله وببعوثه، ويوصيهم الخير في الرعية. . . كما قدمت عليه وفود همدان وتجيب ـ قبيلة من كندة ـ ووفود ثعلبة وبني سعد من هذيم، ووفود كثيرة يضيق المقام عن ذكرها(٢).

كان الرسول ﷺ يرى في هذه الوفود الخير، فيكرمها ويعلمها، ويبين لها

---

(١) سيرة ابن هشام ص٥٦٠ ج٤.

(٢) انظر سيرة ابن هشام ٢٢١ ج٤، والبداية والنهاية ص٤٠-٩٥ ج٥.

كل ما تحتاج إليه، وكانوا يسألونه ﷺ ويجيبهم، فسمعوا منه، وشهدوا بعض مواقفه وأفعاله، وشاركوه ببعض الطاعات والعبادات، ورأوا كثيراً من تصرفاته، فكان لهذه الوفود اثر بعيد في تبليغ كل هذا إلى من وراءهم، وكان لهم دور إعلامي كبير في نشر الإسلام وبيان أحكامه.

٢٢ـ حجة الوداع:

إنها من أعظم المناسبات الإعلامية وأبعدها أثراً في نفوس الأفراد والجماعة في عصر النبي ﷺ، بل وفي العصور التي تلته، إلى أن يرث الله تعالى الأرض ومن عليها، ذلك لأن حجة الرسول ﷺ تلك هي الحجة الوحيدة التي حجها في الإسلام، وهو الأسوة الحسنة لجميع المسلمين على مر الأزمنة والعصور، واختلاف المنازل والدور، وتفاوت البلاد والأوطان، عملاً بقوله سبحانه وتعالى: ﴿لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً﴾(١).

فلم تكن مناسبة إعلامية محدودة بزمانها ومكانها، تنقضي آثارها بمضيها، أو يطوى عليها الزمان صفحة النسيان مع توالي الأيام، وتتالي الأجيال، بل إن هذه المناسبة تتجدد في المسلمين كل عام، فيؤدي هذه الفريضة من توفرت له شروطها وواجباتها، ويقف على أحكامها أكثر المسلمين في كل عام في مختلف الآفاق والبلدان، وتأتي هذه الأهمية الإعلامية من كون الحج أحد أركان الإسلام، وأنها حجة رسول الله ﷺ الوحيدة، والتي يسعى كل مسلم أن يتأسى بالرسول ﷺ في أداء حجه بفروضه وشروطه وسننه على أتم وجه. بالإضافة إلى الأهمية الاجتماعية والسياسية لحجة الرسول ﷺ.

---

(١) الأحزاب: ٢١.

فقد خرج رسول الله ﷺ لخمسٍ بقين من ذي القعدة من السنة العاشرة للهجـرة، إلى مكة المكرمة، وتتابع الناس إلى المدينة وإلى مكة من أطراف الجزيرة، ليروا مناسكه، ويفيدوا من صحبته، فاجتمع معه جمع عظيم أربى على تسعين ألفاً، ودخل مكة، وطاف بالبيت العتيق، ثم سعى بين الصفا والمروة، وخطب في الناس وأمر من لم يسق الهدى بفسخ حجه إلى عمرة وأن يتحلل، وخرج إلى منى في اليوم الثامن وخرجت جموع المسلمين وراءه مكبرة مهللة، فبـات فيها، ثم انطلق في صبيحة اليوم التاسع منها إلى عرفات، فوقف فيها في هذه الجموع الكثيرة، وخطب خطبة جامعة بين فيها كثيراً من الأحكام، من هذه الأحكام حرمة دماء المسلمين وأموالهم، وأداء الأمانة، ووضع ربا الجاهلية، وإبطاله، ومنع النسيء تأكيداً لما في كتاب الله تعالى، وبـين بعض حقوق الرجال، وحقوق النساء، وحث على حسن معاملتهن وأوصى بهن خيراً . . ومنع الوصية للوارث . . وكان يبلغ عنه ربيعة بن أمية بن خلف، وكـان رسول الله ﷺ يقول له قل. أيها الناس إن رسول الله يقول: هل تدرون أي شهر هذا فيقولون الشهر الحرام، فيقول قل لهم إن الله قد حرم عليكم دماءكم وأموالكم كحرمة شهركم هذا . . فوعى الناس هذه الخـطبة، ونقلوها إلى من خلفهم، كما نقلوا كثيراً مما سمعوا وشاهدوا وعملوا، امتثالاً لقول رسول الله ﷺ «ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد، فيبلغ الشاهد منكم الغائب»(1).

ثم نفر بالمسلمين بعد الغروب وبات في مزدلفة وبعد الفجر ذهب إلى منى والمسلمون يرون مناسكه ويتأسون بأفعاله إلى أن أتم جميع مناسك الحج وهو يبين لهم، ويجيبهم عن أسئلتهم وغير ذلك مما يعرض للمسلم في مثل

---

(1) انظر صحيح مسلم ص١٣٠٦ ج٣ وسيرة ابن هشام ص٦٠١-٦٠٦ ج٢ والبداية والنهاية ص١٥١-١٧١ وما بعدها ج٥. وجمع الفوائد ص٤٧٢-٤٧٥ ج١.

هذه المواقف والمناسك والعبادات.

لقد كان لاجتماع المسلمين في موسم الحج بهذا العدد الجم الغفير أثر إعلامي كبير في بيان أحكام الشريعة عامة وأحكام الحج خاصة، ونشر ذلك كله في الجزيرة العربية، ثم نقله بعد ذلك خارج الجزيرة العربية بل إلى مختلف الآفاق، حين انطلق أئمة الصحابة والتابعين ومن جاء بعدهم يحررون الناس من الظلمات إلى النور، ومن الجاهلية إلى الإسلام.

لقد كان حج الرسول ﷺ مناسبة إعلامية عظيمة بلغ فيه الرسول ﷺ الأمانة وأدى الرسالة، وشارك في هذه المناسبة مشاركة عملية جماهير المسلمين بنقل ما سمعوه ورأوه وفعلوه إلى اهليهم وذويهم ومن وراءهم.

الفصل الثالث

مراكز الإعلام في صدر الإسلام

مراكز الإعلام في صدر الإسلام أكثر من أن تحصى، فما من موضع، أو منزل قبيلة، أو حاضرة، أو بادية - استطاع الرسول ﷺ، وخلفاؤه من بعده أن يبعثوا إليها من يبلغ أهلها ويعلمهم إلا أنفذوه إليهم، فلم يدخروا وسعاً إلا بذلوه، ولا سبيلاً إلا سلكوه، وقد تجلى لنا هذا واضحاً فيما عرضنا له من نشاط الرسول ﷺ، ورسله وبعوثه إلى الآفاق، وغير هذا من المباحث الفرعية التي سبقت - حتى عم الإسلام الجزيرة العربية كلها، وأصبحت تلك الديار قلعة الإسلام وحصنه المنيع، وقاعدته التي تنبعث منها أنوار الهداية إلى العالم، وانتقل رسول الله ﷺ إلى الرفيق الأعلى، وخلفه أبو بكر الصديق رضي الله عنه، ثم عمر رضي الله عنه، فاتسعت ديار الإسلام، بفتوحاته، وامتدت الدولة الإسلامية حول الجزيرة العربية، ففتحت بلاد الشام كلها (فلسطين والاردن وسوريا ولبنان)، والعراق جميعها سنة سبع عشرة هجرية[١]، وفتحت مصر سنة عشرين من الهجرة[٢]، ووصل المسلمون إلى ما وراء النهر في خلافة عثمان بعد أن فتحوا (فارس) سنة احدى وعشرين، ووصلوا سمرقند سنة ست وخمسين[٣]، وما لبثت الرايات الإسلامية أن

(١) انظر تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي للدكتور حسن ابراهيم حسن ص٢٩٩ ج١ وما بعدها.

(٢) انظر المرجع السابق ص٢٣٦ ج١.

(٣) انظر المرجع السابق ص٢٧٩ وما بعدها ج١.

خفقت في ربوع الأندلس غرباً سنة ثلاث وتسعين[1] وارتفعت بنود الإسلام وأعلامه على ذرا جبال البرانس[2] سنة ست وتسعين، وعلى حدود الصين شرقاً سنة ست وتسعين أيضاً[3].

كان في طليعة الجيوش الإسلامية صحابة رسول الله ﷺ وكانوا كلما دخلوا بلداً أقاموا فيه المساجد[4]، ومكث فيه بعض الصحابة والتابعين يدبرون أموره، وينشرون فيه الإسلام، ويعلمون ابناءه القرآن الكريم وسنة رسول الله عليه الصلاة والسلام، وكان الخلفاء يمدون البلاد الجديدة بالعلماء، وقد استوطن كثير من الصحابة رضوان الله عليهم تلك الأمصار، يرشدون أهلها، ويعلمون ابناءها. وقد دخل الناس في دين الله أفواجاً، والتفوا حول أصحاب الرسول ﷺ، ينهلون من الينابيع التي أخذت عن الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام، وتخرج في حلقاتهم التابعون الذين حملوا لواء العلم بعدهم، ونشروه في الآفاق، وهكذا أصبحت في الأقاليم والأمصار الإسلامية مراكز علمية عظيمة، تضم أكابر العلماء، وأئمة الإسلام، الذين ساروا على نهج النبي ﷺ ونهج أصحابه في حسن الدعوة إلى الله، والتبليغ والتعليم، فكان كل عالم منهم يسد مسد مؤسسة إعلامية - في عصرنا هذا - بما التف حوله من أهل العلم وطلابه، وبصلتهم الوثيقة بعامة المسلمين وخاصتهم، وكثرت هذه المراكز كثرة تفوق الحصر، تشع منها أنوار الإسلام وعلومه، إلى جانب مراكز الاشعاع الأولى التي أمدت هذه الأقطار بالاساتذة الأول.

---

(١) انظر المرجع السابق ص٣١٣ ج١.
(٢) انظر المرجع السابق ٣١٨ وما بعدها ج١.
(٣) انظر المرجع السابق ص٣٠٥ ج١.
(٤) انظر الخطط للمقريزي ص٢٤٦ ج٢.

ويجدر بنا أن نذكر لمحة موجزة عن هذه المراكز فيما يخص بحثنا، فنتناول أهمها وأشهر القائمين عليها في الأمصار الإسلامية آنذاك:

١ـ المدينة المنورة:

هي دار الهجرة، وحاضرة الدولة الإسلامية، التي آوت الرسول الكريم بعد هجرته ومعه الصحابة رضوان الله عليهم، وشهدت الجانب التشريعي الأول في صدر الإسلام، وفي مساجدها التف المسلمون حول محمد عليه الصلاة والسلام، يتلقون القرآن العظيم، ويسمعون الحديث الشريف، وفيها شاهدوا قضاءه وقسمته للغنائم، واستنفاره للجيوش، وموادعته لخصومه، واليها التجأ المسلمون المهاجرون بدينهم، تحت ضغط قريش والقبائل الأخرى في أطراف الجزيرة العربية، وتعلقت بها الانظار، وعقدت عليها الآمال، حتى كان صلح الحديبية ثم الفتح الأعظم، فأصبحت مركز الحجاز السياسي، وعاصمة الدولة الإسلامية إلى أوائل خلافة علي رضي الله عنه.

وقد يخطر ببالنا أن المهاجرين عادوا إلى مكة بعد وفاته ﷺ، ولكن التاريخ يؤكد لنا أن الصحابة والخلفاء آثروا أن يجاوروا رسول الله ﷺ[١]، ويقيموا حيث أقام. لذلك نرى في المدينة كبار الصحابة الذين رسخوا في العلم، وكانت لهم مكانة عظيمة في الحديث، ومن هؤلاء أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم وأبو هريرة وعائشة أم المؤمنين، وعبدالله بن عمر وأبو سعيد الخدري، وزيد بن ثابت الذي اشتهر بفهم القرآن والحديث والفرائض خاصة، وكانت له مكانة رفيعة عند الخلفاء الراشدين حتى إنهم

---

(١) انظر طبقات ابن سعد ص٣٢٨ ج٥ وفيه كان يكره المسلمون المهاجرون أن يعود أحدهم إلى مكة بعد أن فارق الرسول ﷺ في المدينة.

ما كانوا يقدمون عليه أحداً في القضاء أو الفتوى والفرائض والقراءة[1].

وقد تخرج في المدينة كبار التابعين، ومنهم سعيد بن المسيب، وعروة بن الزبير وابن شهاب الزهري، وعبيدالله بن عتبة بن مسعود، وسالم بن عبدالله ابن عمر، ومحمد بن المنكدر وغير هؤلاء ممن كانوا مرجع الأمة في السنة والقضاء والفُتوى.

٢ـ مكة المكرمة:

لما فتح رسول الله ﷺ مكة، خلف فيها معاذاً يعلم أهلها الحلال والحرام، ويفقههم في الدين، ويقرئهم القرآن الكريم، وكان معاذ من أفضل شباب الأنصار علماً وحلماً وسخاء، شهد مع رسول الله ﷺ المشاهد كلها، وكان يعد من أعلم الصحابة بالحلال والحرام. قال رسول الله ﷺ فيه: «معاذ بن جبل أعلم الناس بحرام الله وحلاله»[2]، وقال عليه الصلاة والسلام: «خذوا القرآن من أربعة من ابن مسعود، وأبي، ومعاذ بن جبل، وسالم مولى أبي حذيفة»[3] وقد روى عنه عدد كبير من الصحابة، منهم عبدالله بن عباس، الذي كانت له الصدارة بعد أن عاد من البصرة إلى مكة المكرمة، كما كان في مكة عتاب بن أسيد الذي أمره رسول الله ﷺ للصلاة في أهلها[4]، وأخوه خالد بن أسيد، والحكم بن أبي العاص، وعثمان بن أبي طلحة وغيرهم[5].

---

(١) انظر تاريخ دمشق ص٢٨٤ ج٦ وسير أعلام النبلاء ص٢١٥ ج١ وتذكرة الحفاظ ص٣٠ ج١.

(٢) سير أعلام النبلاء ص٣٢٠ ج١.

(٣) سير أعلام النبلاء ص٣١٩ ج١.

(٤) المرجع السابق ص٣٢١ ج١.

(٥) انظر معرفة علوم الحديث ص١٩٢.

وقد تخرج في مكة على أيدي الصحابة مجاهد بن جبر، وعطاء بن أبي رباح وطاوس بن كيسان، وعكرمة مولى ابن عباس، وغيرهم[1]. ولا بد أن نذكر هنا علو منزلة مكة المكرمة، وأثرها في تبادل الثقافة ونشر الحديث النبوي وعلوم الاسلام في مواسم الحج، حيث يلتقي فيها المسلمون ويجتمع أكثرهم بصحابة رسول الله ﷺ وبالتابعين، يحملون معهم الكثير الطيب من حديثه عليه الصلاة والسلام إلى بلادهم، ولا تزال لمكة والمدينة هذه المكانة إلى يومنا هذا، وستبقى ما بقي الإسلام إلى يوم الدين.

٣ـ الكوفة:

لقد نزل في الكوفة عدد كبير من أصحاب رسول الله ﷺ، في عهد عمر رضي الله عنه، حين فتحت العراق للمسلمين، وأصبحت الكوفة والبصرة قاعدتي الفتح الإسلامي في خراسان وفارس والهند، فقد هبط الكوفة ثلاثمائة من أصحاب الشجرة، وسبعون من أهل بدر[2] من أشهرهم علي بن أبي طالب، وسعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، وعبدالله ابن مسعود وغيرهم[3]. وكان لعبد الله بن مسعود أثر كبير في رفع اسم الكوفة، لما بذله في سبيل تعليم ابنائها، وقد تخرج في هذه المدرسة كبار التابعين الذين حفظوا الشريعة وحافظوا على السنة المطهرة. فقد كان في الكوفة ستون شيخاً من أصحاب عبد الله بن مسعود، وكان في بني ثور الذين نزلوا الكوفة ثلاثون رجلاً، ما فيهم رجل دون الربيع بن خثيم[4] المشهور بعبادته وورعه وعلو مكانته في الحديث، وكان فيها كميل بن زيد النخعي، وعامر بن شراحيل

(١) انظر فجر الإسلام ص١٧٤.

(٢) انظر طبقات ابن سعد ص٤ ج٦.

(٣) انظر معرفة علوم الحديث ص١٩١.

(٤) انظر طبقات ابن سعد ص٤ ج٦.

الشعبي ، وسعيد بن جبير الأسدي ، وابراهيم النخعي ، وأبو اسحاق السبيعي ، وعبدالملك بن عمير[1] وغيرهم .

٤ـ البصرة :

ونزل البصرة من الصحابة رضوان الله عليهم أنس بن مالك ، وكان امام البصرة في الحديث ، وأبو موسى الأشعري ، وعبدالله بن عباس الذي ولى إمرتها لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، ونزل فيها غير هؤلاء عتبة بن غزوان ، وعمران بن حصين ، وأبو برزة الأسلمي ، ومعقل بن يسار ، وعبدالرحمن بن سمرة ، وابو زيد الأنصاري ، وعبد الله بن الشخير ، والحكم وعثمان بنا أبي العاص وغيرهم[2] .

وأشهر من تخرج في مدرسة البصرة الحسن البصري الذي أدرك خمسمائة من الصحابة ، ومحمد بن سيرين ، وأيوب السختياني ، وبهز بن حكيم القشيري ، ويونس بن عبيد ، وخالد بن مهران الحذاء وعبدالله بن عون ، . وعاصم بن سليمان الأحول ، وقتادة بن دعامة السدوسي ، وهشام بن حسان [3] وغيرهم .

وأما بغداد فلم تشتهر إلا منذ عهد المنصور العباسي .

٥ـ الشام :

نزل الشام من الصحابة عدد كبير كانوا في جيش الفتح الإسلامي ، وقد استوطن أكثرهم المدن الكبرى بادىء الأمر ، ثم ما لبث سكان القرى أن تمسكوا ببعضهم عندما شعروا بالفائدة العلمية الكبرى التي حملها اليهم المسلمون ، ومن الصعب حصر عدد الصحابة الذين حلوا في بلاد الشام ،

(١) انظر معرفة علوم الحديث ص٢٤٣ـ٢٤٨ .

(٢) انظر معرفة علوم الحديث ص١٩٢ .

(٣) انظر معرفة علوم الحديث ص٢٤٨ .

ولكن الوليد بن مسلم يقرب هذا لنا فيقول: (دخلت الشام عشرة آلاف عين رأت رسول ﷺ)[1]، وكان يزيد بن أبي سفيان قد كتب إلى عمر بن الخطاب ليعينه بالعلماء، ليفقهوا أهل الشام[2] فأرسل إليه معاذ بن جبل، وعبادة بن الصامت وأبا الدرداء ـ الذين توزعوا في بلاد الشام فأقام عبادة في حمص، وأبو الدرداء في دمشق، . ومعاذ في فلسطين ثم أرسل عمر بعد هؤلاء عبدالرحمن بن غَنْم[3].

ونشطت الحركة العلمية في بلاد الشام وخاصة في دمشق أيام الأمويين، وما زال بها فقهاء ومحدثون ومقرئون[4]، وانتشر فيها العلماء حتى أضحت قرية داريا حاضرة العلم والأدب في غوطة دمشق، ويقول السمعاني: انه كان في داريا جماعة كثيرة من العلماء المحدثين قديماً وحديثاً، وممن نبغ فيها من الصحابة عبدالرحمن بن يزيد الازدي الداراني، ويعد في الطبقة الثانية من فقهاء الشام[5].

وقد نزل بلاد الشام غير الصحابة المذكورين أبو عبيدة بن الجراح، وبلال بن رباح وشرحبيل بن حسنة، وخالدبن الوليد، وعياض بن غنم والفضل بن العباس بن عبدالمطلب ـ وهو مدفون بالأودن ـ، وعوف أبن مالك الأشجعي؛ والعرباض بن سارية[6] وغيرهم.

وتخرج على أيدي الصحابة في هذه المدرسة كبار علماء الشام من التابعين

---

(١) التاريخ الكبير ص١٦٩ ج١.

(٢) انظر غوطة دمشق ص١٣١.

(٣) انظر فجر الإسلام ص١٨٨-١٨٩.

(٤) انظر الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ص١٣٨.

(٥) انظر غوطة دمشق ص١٣٤.

(٦) انظر معرفة علوم الحديث ص١٩٣.

منهم سالم بن عبدالله المحاربي قاضي دمشق ، وأبو إدريس الخولاني (عائذ بن عبدالله)، الذي تولى القضاء بدمشق لمعاوية وابنه يزيد، ومنهم أبو سليمان الداراني، قاضي دمشق لعمر بن عبدالعزيز، وليزيد وهشام ابني عبدالملك، قضى لهم ثلاثين سنة، ومنهم عميربن هانيء العنسي الداراني. المحدث[1] .

وتخرج في هذه المدرسة عبدالرحمن بنعمروالاوزاعي ، الذي يقرن بمالك وأبي حنيفة ويلقب بامام أهل الشام، . ومكحول الدمشقي، وعمر بن عبدالعزيز، ورجاء بن حيوة[2]،وبحِير بن سعيد الكلاعي ، وثور بن يزيد الكلاعي ، وعبدالرحمن بن يزيد بن جابر[3] وغيرهم .

٦ـ مصر:

دخل المسلمون مصر في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ،بامرة عمرو ابن العاص رضي الله عنه، . وكان معه من الصحابة عدد كبير منهم الزبير ابن العوام . وعبادة بن الصامت، ومسلمة بن مخلد، والمقداد بن الأسود، كانوا على رأس المدد الذي ارسله عمر بن الخطاب الى عمرو بن العاص[4]، كما كان معه عبدالله بن عمرو: أحد الصحابة المكثرين عن رسول الله ﷺ ، والذي كان يدون الحديث بين يدي رسول الله ﷺ، فقد مكث بمصر إلى ما بعد وفاة والده، وعنه روى كثير من محدثيها.

ونزل مصر من الصحابة عقبة بن عامر الجهني، و خارجة بن حذافة

---

(١) انظر غوطة دمشق ص١٣٤ـ١٣٥ وانظر تاريخ داريا للقاضي عبدالجبار الخولاني ٢٩ـ٧٢.

(٢) انظر فجر الإسلام ص١٨٩ .

(٣) انظر معرفة علوم الحديث ص٢٤٢ .

(٤) انظر تاريخ الإسلام السياسي ص٢٣٦ ج١ .

وعبدالله بن سعد بن أبي سرح، ومحمية بن جزء، وعبدالله بن الحارث بن جزء، وأبو بصرة الغفاري، وأبو سعد الخير، ومعاذ بن أنس الجهني ومعاوية ابن حُديج، وزياد بن الحارث الصدائي وغيرهم[1].

وتخرج على أيدي هؤلاء في هذه المدرسة، يزيد بن أبي حبيب محدث الديار المصرية وعمر بن الحارث، وخير بن نعيم الحضرمي، وعبدالله بن سليمان الطويل، وعبدالرحمن بن شريح الغافقي، وحيوة بن شريح التجيبي، وغيرهم، وقد كان ليزيد بن ابي حبيب أثر بعيد في نشر الحديث وعلوم الإسلام في مصر، فقد تتلمذ عليه الليث بن سعد، وعبدالله بن لهيعة[2] اللذان تتلمذ عليهما خلق كثير، وكانا في عصرهما محدثي الديار المصرية. كما كان الليث إمامها وفقيهها.

٧ـ المغرب والأندلس:

كان عمرو بن العاص قد وصل إلى برقة وطرابلس سنة (٢١هـ) في عهد عمر بن الخطاب، فاستأذن عمرو الخليفة بفتح افريقية فلم يأذن له، فاستجاب لأمر أمير المؤمنين وعاد إلى مصر، فكان عمرو وأصحابه أول المسلمين الذين دخلوا أطراف المغرب، وعندما تولى عثمان رضي الله عنه الخلافة أذن لأمير مصر عبدالله بن سعد بن أبي سرح بغزو أفريقية، وكان ذلك سنة (٢٥هـ) ثم أمده بجيش من المدينة فيه جماعة من الصحابة منهم عبدالله بن عباس وعبد بن عمرو بن العاص، وعبدالله بن جعفر، والحسن والحسين، وعبدالله بن الزبير ولقيهم عقبة بن نافع ببرقة فتابعوا فتح

---

(١) انظر معرفة علوم الحديث ص١٩٣ وانظر فتوح مصر لابن عبدالحكم ص٢٤٨ـ٣١٩، وانظر حسن المحاضرة ص٧٢ وما بعدها ج١.
(٢) انظر معرفة علوم الحديث ص٢٤١.

البلاد[1]، ثم خرج لفتح، المغرب معاوية بن خديج سنة (٣٤هـ) وكان في غزاته هذه جماعة من المهاجرين والأنصار[2]، قال سليمان بن يسار: (غزونا افريقية مع ابن خديج ومعنا من المهاجرين والأنصار بشر كثير)[3]. ثم ولى عقبة بن نافع المغرب، وكان في جيشه كثير من الصحابة والتابعين وهو الذي فتح المغرب الأقصى ووطد أركان الإسلام في شمال افريقية[4]. وقد نزل افريقية من الصحابة غير الذين ذكرناهم مسعود بن الأسود البلوى أحد الصحابة الذين بايعوا الرسول ﷺ تحت الشجرة، والمِسْورَ بن مَخْرمة، والمقداد بن الأسود الكندي أحد الصحابة السابقين[5]، وبلال بن حارث بن عاصم المزني صاحب لواء مزينة يوم الفتح وجبلة بن عمرو بن ثعلبة اخو أبي مسعود البدري، كان فاضلاً من فقهاء الصحابة، وسلمة بن الاكوع الصحابي المشهور وغيرهم كثير[6].

ودخل افريقية من التابعين خلق كثير منهم السائب بن عامر بن هشام، ومعبد اخو عبدالله بن عباس. وعبدالرحمن بن الأسود، وعاصم بن عمر بن الخطاب، وعبدالملك بن مروان، وعبدالرحمن بن زيد بن الخطاب، وسليمان ابن يسار فقيه المدينة، وعكرمة مولى ابن عباس[7]. وابو منصور والد يزيد بن منصور من كبار التابعين، كما أرسل عمر بن عبدالعزيز عشرة من التابعين

---

(١) انظر الاستقصاء لأخبار دول المغرب الاقصى ص٦٧-٧٠ ج١.

(٢) و(٣) فتوح مصر واخبارها لابن عبدالحكم ص١٩٣.

(٤) انظر فتوح مصر وأخبارها ص١٩٣ وما بعدها. والاستقصا ص٦٩-٧٠ ج١.

(٥) انظر الاستقصا ص٧٥-٨٠ ج١.

(٦) انظر فتوح مصر وأخبارها ص٢٤٨-٣١٩. وطبقات علماء افريقية ص١٦-١٧.

(٧) لم يدخل عكرمة غازياً، وكان له مجلس في مؤخر مسجد الجامع في غربي المناره، الموضع الذي يسمى بالركيبية. انظر طبقات علماء افريقية ص١٩.

يفقهـون أهـل افـريقية منهم: حبـان بن أبي جبلة، واسماعيل بن عبدالله الاعـور، واسماعيل بن عبيد[1]، وعبدالرحمن بن رافع التنوخي الذي ولي قضـاء افـريقية، وسعيد بن مسعود التجيبي وغيرهم[2] ممن ساهموا في نشر الإسلام وتعليم أبناء البلاد وتفقيههم.

وقد تخرج على أيدي هؤلاء من اهل افريقية خلق كثير منهم: زياد بن أنعم المعافري، وعبدالرحمن بن زياد، ويزيد بن ابي منصور، والمغيرة بن ابي بردة، ورفاعة بن رافع، وعمرو بن راشد بن مسلم الكناني، وعمران بن عبد المعافري، والمغيرة بن سلمة، ومسلم بن يسار الافريقي، وغيرهم ممن حمل لواء العلم[3].

وما لبثت مدينة القيروان أن أضحت محط انظار أهل المغرب فكان فيها سحنـون بن سعيد، وسعيد بن محمد الحداد[4]. كما تألقت قرطبة واشبيلية وغـرنـاطـة وبلنسية، من بلدان الاندلس في مطلع القرن الثالث الهجري بيحيى بن يحيى، وابن حبيب وبقى بن مخلد وغيرهم[5].

٨ـ اليمن:

كان رسـول الله ﷺ قد وجه معاذ بن جبل وأبا موسى الأشعري إلى اليمن، كما نزل غيرهما من الصحابة فيها، وتخرج في اليمن علماء من ألمع

---

(١) هو صاحب سوق مسجد اسماعيل والاحباس، وهو الذي يقال له تاجر الله انظر طبقات علماء افريقية ص (٢٠)

(٢) انظر طبقات علماء افريقية ص١٩-٢١

(٣) انظر طبقات علماء افريقية ص٢١-٢٤.

(٤) انظر إعلام الموقعين ص٢٧ ج١.

(٥) انظر الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ص١٤٠، وانظر إعلام الموقعين ص٢٧ ج١.

التابعين، منهم همام ووهب بنا منبه، وطاوس وابنه، ثم معمر بن راشد، ثم عبدالرزاق بن همام واصحابه(١).

٩ـ جرجان:

فتحت جرجان في عهد امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعد فتح نهاوند وذلك سنة ثماني عشرة(٢)، ونزل بجرجان عدد من الصحابة، منهم ابو عبدالله الحسين بن علي، وعبدالله بن عمر، وحذيفة بن اليمان، وسعيد ابن العاص، وسويد بن مُقَرِّن، وعبدالله بن ابي اوفى، وابو هريرة، وعبدالله ابن الزبير، وقيل نزل بها ايضاً الحسن بن علي، وسواد بن قطبة، وسماك بن مخرمة، وهند بن عمرو، وعتبة بن نهاس(٣).

١٠ـ قزوين:

ونزل قزوين جم غفير من الصحابة والتابعين، فمن الصحابة: البراء ابن عازب، وسعيد بن العاص، ونزل عبدالله بن عمرو بن العاص حاموران، وسعيد بن العاص شيروان، وعبدالله بن عباس فيروزورام وكانوا يتزاورون، وكان لسعيد بنون: عمرو ويحيى وعنبسه، كما نزلها سلمان الفارسي، وابو هريرة الدوسي.

واما التابعون فمنهم ابراهيم بن يزيد النخعي، وسعيد بن جبير، وشمر ابن عطية بن عبدالرحمن، وشهر بن حوشب، وطليحة بن خويلد

---

(١) انظر الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ص١٣٩ـ١٤٠.

(٢) انظر تاريخ جرجان للسهمي ص٤ـ٩.

(٣) انظر المرجع السابق ص٦، ولما ولي يزيد بن المهلب بن أبي صفرة العراق ثم خراسان لسليمان بن عبدالملك اختط بها مساجد نحواً من اربعين مسجداً، وهي معروفة بجرجان انظر ص١٦ من تاريخ جرجان.

الأسدي[1] . فعمروا الديار بالعلم والمساجد والبنيان، وتخرج من تلك الديار كثير من أهل العلم منهم الامام ابن ماجه القزويني.

١١ـ خراسان:

نزل خراسان من الصحابة وتوفي بها بريدة بن حصيب الاسلمي وهو مدفون بمرو، وابو برزة الاسلمي، والحكم بن عمرو الغفاري، وعبدالله بن خازم المدفون بنيسابور، وقثم بن العباس المدفون بسمرقند[2]، وفي هذه البلاد ظهر كبار المحدثين.

ففي (بخارى) كان عيسى بن موسى غنجار، وأحمد بن حفص الفقيه، ومحمد بن سلام البيكندي، وعبدالله بن محمد السندي، ثم ابو عبدالله محمد ابن اسماعيل البخاري.

وفي (سمرقند) ابو عبدالله بن عبدالله بن عبدالرحمن الدارمي، ثم محمد ابن نصر المروزي كما ظهر في الشاس فيما بعد الحسن بن الحاجب والهيثم بن كليب.

وفي (فرياب) تخرج جماعة من العلماء اقدمهم محمد بن يوسف الفريابي صاحب الثوري، ثم القاضي جعفر بن محمد الفريابي صاحب التصانيف المتوفى سنة (٢٢٦هـ)[3].

من كل ما تقدم يتبين لنا أن المسلمين عندما ساروا إلى البلاد المجاورة لم يسيروا وراء دنيا يصيبونها، ولا خلف تجارة يربحون منها، وانما انطلقوا

---

(١) انظر التدوين في ذكر أخبار قزوين ص١٣ـ٢٩ ج١ وص٣٠ـ٣٥ ج١.

(٢) انظر معرفة علوم الحديث ص١٩٤.

(٣) انظر الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ص١٤٣.

ليحرروا الامم من الظلم والطغيان، وينشروا بين ابناء البلاد الجديدة تعاليم الإسلام، وبأخذوا بأيديهم إلى جادة الصواب، ويفتحوا عيونهم على نور الهداية والحق. وبهذا، تتميز الفتوحات الاسلامية عن جميع الفتوحات التي عرفها التاريخ، إلى جانب ميزات كثيرة يضيق المقام بذكرها، ومن اجل تحقيق تلك الغاية المذكورة، استقر علماء الصحابة في الاقطار المختلفة، وأمد الخلفاء الامصار بالعلماء ليسرعوا في حركة التحرير والهداية والتعليم، وقد التف المسلمون الجدد حول من عندهم من الصحابة والتابعين.

وكان الصحابة يتفاوتون في العلم، ولم يكن عند كل واحد منهم جميع ما قاله الرسول ﷺ وشرعه، ولهذا كثرت الرحلات العلمية إليهم وإلى أكابر التابعين لينهل طلاب العلم من ينابيعه، ويلتقوا بأهله، وكثرت الرحلات من التابعين وأتباعهم ليسمعوا ما فاتهم، أو ليتأكدوا مما سمعوا، ولهذا نرى كثيراً من التابعين يقصدون الصحابة في اقاصي البلاد يسافرون الليالي والايام في طلب حديث أو حديثين كما سيظهر لنا بعد قليل. وقد رأينا بروز بعض الصحابة ولمعانهم في الاقطار المختلفة، فانطبع تلامذتهم بطابعهم وساروا على نهجهم، ثم حلوا محلهم وحملوا لواء العلم ونشره.

وفي كل هذا من الإعلام وألوانه ما لا يخفى. ونرى من المناسب أن نفرد القول في الرحلة في طلب العلم، وبيان آثارها الإعلامية، وفوائدها العلمية. فقد كانت من أبرز الظواهر الإعلامية في القرن الهجري الأول وما تلاه من القرون، حتى صارت سمة أهل الحديث ومسلكهم في لقاء أكابر الحفاظ وأئمة العلماء.

الرحلة في طلب العلم وأثرها في الاتصال

كانت الرحلة في طلب الحديث قائمة في عهده ﷺ، فكان بعض من يسمع بالرسالة الجديدة، يسافر الى الرسول عليه الصلاة والسلام ليسمع القرآن الكريم، ويتفهم تعاليم الإسلام، ثم ينصرف الى قومه بعد أن يعلن إسلامه كما فعل ضمام بن ثعلبة. وغيره ممن وفد على الرسول ﷺ مما فصلنا القول فيه في الفصل الثاني من الباب الأول من هذا الكتاب.

فالرحلة في عهد الرسول كانت عامة من اجل معرفة تعاليم الدين الجديد. واما في عهد الصحابة والتابعين واتباعهم فقد تمت رحلات كثيرة من العلماء في طلب الحديث خاصة، والعلم عامة وكثيرا ما كانوا يقطعون المسافات الطويلة لسماع حديث أو التأكد من حديث وضبطه، أو للإلتقاء بصحابي وملازمته، للأخذ عنه، لأن الصحابة في عهد التابعين توزعوا في البلدان ونقلوا في صدورهم الحديث النبوي، فكان لا بد لمن أراد ان يجمع حديث محمد ﷺ من أن ينتقل من بلد إلى آخر، وراء الصحابة الذين سمعوا منه ورأوه وأخذوا الاحكام عنه، ثم رحل اتباع التابعين الى التابعين ولازموهم وأخذوا عنهم، حتى تم جمع الحديث في مراجعه الكبرى، ومع هذا لم تنقطع رحلة العلماء في سبيل المذاكرة والعرض على الشيوخ المشهورين.

ومما يروى في رحلة الصحابة ما حدث به عطاء بن أبي رياح قال: (خرج ابو ايوب الانصاري الى عقبة بن عامر، يسأله عن حديث سمعه من رسول الله ﷺ، ولم يبق احد سمعه من رسول الله ﷺ، غيره وغير عقبه، فلما قدم الى منزل مسلمة بن مخلد الانصاري ـ وهو امير مصر ـ فأخبره فعجل عليه، فخرج اليه فعانقه، ثم قال له: ما جاء بك يا أبا أيوب؟ فقال: حديث سمعته

من رسـول ﷺ، لم يبق أحد سمعه من رسول الله ﷺ غيري وغير عقبة، فابعث من يدلني على منـزله، قال: فبعث معه من يدله على منزل عقبة، فأخـبر عقبة، فعجل فخرج اليه فعانقه، فقال: ما جاء بك يا أبا أيوب؟ فقال: حديث سمعته من رسول الله ﷺ لم يبق أحد سمعه من رسول الله ﷺ غيري وغـيرك في ستر المؤمن، قال عقبة: نعم سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من ستر مؤمناً في الدنيا على خزية[1] ستره الله يوم القيامة». فقال له أبـو أيوب: صدقت. ثم انصرف أبو أيوب إلى راحلته، فركبها راجعاً إلى المدينة، فما ادركته جائزة مسلمة بن مخلد الا بعريش مصر[2].

لقـد خشي أبـو أيوب أن يكون نسي شيئاً من حديث (ستر المؤمن)، فأحب أن يتأكد من ذلك، ويتثبت من صحة ما يحفظه عن الرسول الكريم، فرحل من الحجاز إلى مصر، يقطع الفيافي والقفار في سبيل ذلك..

وعن ابن عقيل أن جابر بن عبدالله حدثه: انه بلغه حديث عن رجل من أصحاب النبي ﷺ قال: (فابتعت بعيرا، فشدَدت اليه رحلي شهراً حتى قدمت الشام، فإذا عبدالله بن انيس، فبعثت اليه أن جابراً بالباب، فرجع الـرسـول فقـال: جابر بن عبدالله؟ فقلت: نعم فخرج فاعتنقني. قلت: حديث بلغني لم اسمعه، خشيت أن أموت أو تموت، قال: سمعت النبي ﷺ: يقول «يحشر الله العباد ـ أو الناس عراة غرلا[3] بهما» قلنا: ما بهما؟ قال:

---

(١) الخزية هو الشيء الذي يستحيا منه. وانظر لسان العرب ص٢٤٧ ج١٨.

(٢) معرفة علوم الحديث ص٨ وجامع بيان العلم وفضله ص٩٣-٩٤ ج١ وذكره زهير ابن حرب فيكتابه (العلم) عن رجل ولم يذكر أبا أيوب الأنصاري انظر ص١٨٧: ب كما ذكر الخطيب مثله في الجامع لاخلاق الراوي ص١٦٨: ب -١٦٩: أ.

(٣) غرلا جمع (أغرل) وهو الذي لم يخُتن.

ليس معهم شيء، فيناديهم بصوت يسمعه من بَعُدَ ـ احسبه قال: ـ كما يسمعه من قرب: أنا الملك، لا ينبغي لأحد من أهل الجنة يدخل الجنة وأحد من أهل النار يطلبه بمظلمة، ولا ينبغي لأحد من أهل النار يدخل النار، وأحد من أهل الجنة يطلبه بمظلمة، قلت: وكيف؟ وانما نأتي الله عراة بهما؟ قال: «بالحسنات والسيئات»[1].

وتنشط الرحلات في طلب الحديث بين التابعين وأتباعهم، حتى لقد كان أحدهم يخرج وما يخرجه الا حديث عند صحابي يريد أن يسمعه منه لأنه سمعه من رسول الله ﷺ، وفي هذا يروى عن أبي العالية قوله: (كنا نسمع الرواية عن أصحاب رسول الله ﷺ بالبصرة، فلم نرض حتى ركبنا الى المدينة فسمعناها من أفواههم)[2].

وخرج الشعبي في ثلاثة أحاديث ذكرت له، فقال لعليّ: ألقى رجلاً لقي رسول الله ﷺ[3]، وروى الزهري عن سعيد بن المسيب قال: إن كنت لاسير ثلاثاً في الحديث الواحد[4]. وأقام أبو قلابة بالمدينة وليس له بها حاجة الا رجل عنده حديث واحد ليسمعه منه[5]. ويروى أن (مسروقا) رحل في حرف[6]، ويظهر أن مسروقا[7] كان كثير الترحال، ولذلك قال عامر

---

(١) الأدب المفرد ص ٣٣٧ وجامع بيان العلم وفضله ص٩٣ ج١ والجامع لاخلاق الراوي وآداب السامع ص١٦٨: ب.

(٢) الجامع لاخلاق الراوي وآداب السامع ص ١٦٨: ب والكفاية ص ٤٠٢.

(٣) انظر المحدث الفاصل ص ٢٩: آ.

(٤) انظر المحدث الفاصل ص٢٨: ب والجامع لاخلاق الراوي وآداب السامع ص ١٦٩: ب وتذكرة الحفاظ ص٥٢ ج١ وجامع بيان العلم وفضله من ٩٤ ج١.

(٥) انظر المحدث الفاصل ص٢٨: ب.

(٦) جامع بيان العلم وفضله ص٩٤ ج١.

(٧) ومسروق هو ابن الاجدع الهمداني أبو عائشة تابعي ثقة يمني الاصل،رحل إلى=

الشعبي: ما علمت أن أحداً من الناس كان أطلب لعلم في أفق من الآفاق من مسروق[1]. ويروى عن الشعبي انه حدث بحديث ثم قال لمن حدثه: (اعطيتكه بغير شيء، وان كان الراكب ليركب الى المدينة فيما دونه)[2].

وكـان الصحابة الكرام يشجعون على طلب العلم، وعلى الرحلة من أجله، من هذا ما روى عن عبدالله بن مسعود انه قال: (لو أعلم أحداً أعلم بكتاب الله تعالى مني تبلغه الابل لأتيته)[3] وكانوا يرحبون بطلاب العلم كما سبق أن ذكرنا، وكل هذا حبب إلى التابعين الرحلة، حتى إن عامراً الشعبي قال: (لو أن رجلاً سافر من أقصى الشام إلى أقصى اليمن، ليسمع كلمة حكمة ما رأيت أن سفره ضاع)[4]، وفعلا كانوا يرحلون إلى الصحابة ولا يرون أن سفرهم قد ضاع.

عن كثير بن قيس قال: كنت جالساً عند أبي الدرداء في مسجد دمشق، فأتـاه رجل، فقال: يا أبا الدرداء.. أتيتك من المدينة، مدينة رسول ﷺ لحديث بلغني انك تحدث به عن النبي ﷺ. قال: فما جاء بك تجارة؟ قال: لا. قال: ولا جاء بك غيره؟ قال: لا. قال: فاني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة»وان

= المدينة أيام أبي بكر ثم سكن الكوفة وشهد حروب علي وكان يفتي توفي سنة (٦٢هـ). انظر تهذيب التهذيب ص١٠٩ ج١٠.

(١) جامع بيان العلم وفضله ص٩٤ ج١ والمحدث الفاصل ص٢٩: آ.

(٢) جامع بيان العلم وفضله ص٩٤ ج١، ومعرفة علوم الحديث: ٧ وقد اخرج الشيخان نحـوه انـظر صحيح البخاري بحاشية السندي ص١٧١ ج٢ وانظر الادب المفرد ص٨١، وصحيح مسلم ص١٣٥ ج١، كما اخرجه الترمذي والنسائي وابن ماجة.

(٣) الكفاية ص٤٠٢.

(٤) جامع بيان العلم وفضله ص٩٥ ج١، والرحلة الحجازية والرياض الانسية ص١٤.

الملائكة لتضع اجنحتها رضا لطالب العلم، وان طالب العلم يستغفر له من في السماء والارض، حتى الحيتان في الماء، وان فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب. إن العلماء ورثة الانبياء، إن الانبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، انما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر»[1].

وعن زرّ بن حبيش[2] قال: أتيت صفوان بن عسال المرادي، فقال: ما جاء بك؟ قلت: انبط العلم. قال: فاني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من خارج خرج من بيته في طلب العلم الا وضعت له الملائكة أجنحتها، رضا بما يصنع»[3].

واخبار العلماء ورحلاتهم كثيرة يضيق المقام بذكرها، ويكفينا أن نذكر شيئاً منها، فقد رحل ابن شهاب الى الشام ليلقى عطاء بن يزيد وابن محيريز وابن حيوة، ورحل يحيى بن أبي كثير الى المدينة للقاء من بها من اولاد الصحابة، ورحل محمد بن سيرين إلى الكوفة، فلقي بها عبيدة وعلقمة وعبدالرحمن بن أبي ليلى، ورحل الأوزاعي إلى يحيى بن أبي كثير باليمامة، ودخل البصرة، وغيرهم كثير وكل هؤلاء من الأعلام المشهورين، وكل واحد منهم يمثل مدرسة علمية، ومناراً إعلامياً، ومعيناً فكرياً بكل ما في هذه العبارات من معنى. تلك الرحلات العلمية من إقليم إلى آخر، وأما رحلة العلماء وطلاب العلم من بلد إلى آخر في الاقليم الواحد فأكثر من أن تحصى.

---

(١) سنن البيهقي ص٨١ ج١، والجرح والتعديل ص١٢ ج١ وقد رواه ابن ماجة في سننه ص٨١ ج١.

(٢) زربزاي مكسورة فراء مشددة بوزن هر.

(٣) سنن ابن ماجة ص٨٢ حديث ٢٢٦ ج١ طبعة عيسى البابي الحلبي وانظر مجمع الزوائد ص١٣١ ج١، والجرح والتعديل ص١٣ ج١ وانبط العلم أي اطلبه واستخرجه من عند أهله.

ولكل ما سبق أثر بعيد في انتشار الإسلام وبيان أحكامه، والوقوف على أحوال المسلمين وأخبارهم في مختلف ميادين الحياة، مما له أهمية في الميادين الإعلامية، هذا إلى جانب توثيق الصلات بين المسلمين وتقويتها، وتوحيد ثقافة أبناء الأمة، وإن ترامت منازلها، وتباعدت بلدانها، واتسعت رقعتها، ولا يخفى ما لوحدة الثقافة، ووضوح الفكر من آثار عميقة وبعيدة، في تماسك الأمة واستمرارها ووحدتها.

الباب الثاني

الإعلام والوضع

وفيه ثلاثة فصول

الفصل الأول : ظاهرة الوضع وأسبابها .
الفصل الثاني : جهود العلماء في مقاومة الوضع .
الفصل الثالث : تفنيذ بعض الشبهات وتصحيح بعض المفاهيم .

الفصل الأول

ظاهرة الوضع وأسبابها.

تمهيد:

إن بعض من كتب في الإعلام الإسلامي عرض لأهمية الحديث النبوي في ميدان الإعلام، وأثره في انتشار الإسلام، وأنه لمكانته في نفوس المسلمين استغل في الأمور السياسية وغيرها. فكان له (قدرة دعائية ازدادت مع الأيام قوة) كما عرض للكذب على الرسول ﷺ، ووضع الحديث في سبيل تلك المصالح، وحرصاً مني على بيان وجه الحق في هذا الموضوع - رأيت من واجبي تقديم هذه الدراسة الموجزة التي تعيد الحق إلى نصابه، وتبرز الحقائق بين يدي القارىء.

أولاً - التعريف بالوضع:

أ- الموضوع في اللغة: اسم مفعول من وضع يضع، ويأتي وضع في اللغة لمعان عدة منها: الاسقاط كوضع الجناية عنه أي أسقطها، وكوضع الأمر أو الشيء عن كاهله أي أسقطه، ويأتي بمعنى الترك ومنه ابل موضوعه أي متروكه في المرعى، ويأتي بمعنى الافتراء والاختلاق كوضع فلان هذه القصة أي اختلقها وافتراها[1].

---

(١) انظر القاموس المحيط: ص٩٤ ج٣ مادة «وضع».

ب ـ والموضوع في اصطلاح المحدثين: هو ما نسب إلى الرسول ﷺ اختلاقاً وكذباً مما لم يقله أو يفعله أو يقره. وقال بعضهم: (هو المختلق المصنوع)[1].

ثانيا ـ ابتداء الوضع:

بقي الحديث النبوي صافياً لا يعتريه الكذب، ولا يتناوله التحريف والتلفيق طوال اجتماع كلمة الأمة على الخلفاء الاربعة الراشدين، قبل أن تنقسم الى شيع وأحزاب، وقبل أن يندس في صفوفها أهل المصالح والاهواء، وقد كان للخلاف بين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ـ وأمير الشام معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما ـ أثر بعيد في انقسام الأمة ونشأة الاحزاب والفرق الدينية والسياسية المختلفة. وقد حاول بعض اتباع كل حزب أن يدعم ما يدعى بالقرآن والسنة، ومن البدهي ألا يجد كل حزب ما يؤيد دعواه في نصوص القرآن الكريم والسنة الشريفة، فتأول بعضهم القرآن، وفسروا بعض نصوص الحديث بما لا تتحمله، ولما لم يجد بعضهم في هذين الاصلين سبيلا الى غايته، لكثرة حفاظ القرآن الكريم والحديث النبوي ـ لجأ الى وضع الحديث والكذب على رسول الله ﷺ. فظهرت أحاديث في فضائل الخلفاء الأربعة وغيرهم من رؤساء الفرق وزعماء الاحزاب، كما ظهرت أحاديث صريحة ـ فيما بعد ـ في دعم المذاهب السياسية والفرق الدينية وغير ذلك.

ويجدر بنا أن نبين أن وضع الحديث لم يطغ ولم يصل الى ذروته في القرن

---

(١) أهم مصادر هذا البحث: مقدمة ابن الصلاح ص٣٨، وتدريب الراوي ص١٧٨ وما بعدها، واختصار علوم الحديث ص٨٥، وتوضيح الافكار ص٦٨ ج٢، وقواعد التحديث ص١٥٠ وما بعدها، والسنة قبل التدوين: ص١٨٧ وما بعدها، والمنتقى من منهاج الاعتدال: ص٣٨٦-٣٨٧، والسنة ومكانتها من التشريع الإسلامي ص٨٩. وسنذكر بعض المصادر في مكانه عند الضرورة.

الأول والثاني، لأن أسباب الوضع لم تنشأ إلا قبيل منتصف القرن الهجري الأول بقليل، ولم تكن هذه الاسباب كثيرة، ولم تزدد الاحاديث الموضوعة إلا بازدياد البدع والفتن، وقد كان الصحابة وكبار التابعين وعلماؤهم في معزل عنها. **ولهذا فإنا نستبعد ظهور الوضع قبل الفتنة، كما نستبعد تطوع أحد من الصحابة بوضع الحديث، ولا يعقل** أن يتصور مسلم الصحابة الاجلاء، الذين بذلوا نفوسهم وأموالهم في سبيل الله، ودافعوا عن رسول الله ﷺ، وهجروا الاوطان، وقاسوا من العذاب الالوان، وذاقوا من العيش مرارته، ومن العدو اساءته، وصبروا الصبر الجميل ـ استجابة للرسول الأمين حتى كتب لهم النصر، لا يعقل أن يتصور أحد هؤلاء المخلصين يفترون على الرسول ﷺ، وهم الذين نشؤوا في رعايته، وتخرجوا في جامعته، ونهلوا من معينه، وتأسوا بعمله، فكانوا على جانب عظيم من التقى والورع والخشية، لكل هذا ننفي إقدام أحدهم على الوضع والكذب على الرسول ﷺ. والواقع التاريخي في حياته ﷺ وبعد وفاته يؤيد ما ذهبنا إليه[١]، وينفي كل افتراء على الصحابة في هذا الموضوع، وهم أسمى بكثير من أن يخوضوا في الكذب والوضع بعد أن عرفنا بذلهم وتضحيتهم وحبهم للرسول وبعد أن عرفنا عدالتهم بالمنقول ـ القرآن والسنة ـ والمعقول، وبعد أن عرفنا حرصهم على الشريعة وتمسكهم بها ومحافظتهم عليها. وقد انتهى عصر الصحابة مع نهاية القرن الهجري الأول، مما يؤكد صفاء هذا القرن من الوضع والوضاعين.

وكما نفينا عن الصحابة انغماسهم في الوضع ننفي عن كبار التابعين وعلمائهم ذلك أيضاً، ونؤكد أنه اذا حصل الوضع في عصر التابعين، فانما صدر عن بعض الجاهلين، الذين حملتهم الخلافات السياسية والاهواء الشخصية على انتحال الكذب، ووضع الاحاديث على الرسول ﷺ زوراً

---

(١) انظر تأكيد هذا في كتابنا السنة قبل التدوين: ص٢٣٥-٢٣٦.

وبهتاناً. ومع هذا فإنا نؤكد أن الوضع في عصر التابعين لم يقع وإن وقع فإنما يكون نادراً جداً، وفي باب الترغيب والترهيب، على ألسنة بعض القصاص الذين يستدرون عطف بعض الجاهلين من العامة، وأكثر الناس كان يحذر مجالستهم، ويحذرون من الاستماع[1] إليهم، هذا إلى جانب كثرة الصحابة والتابعين الذين مارسوا السنة وبينوا السقيم من الصحيح، ولعدم تفشي التحلل والكذب في الأمة، لقربها من عصر الرسول ﷺ، إذ لا تزال متأثرة بتوجيهاته، محافظة على وصاياه تعمها التقوى والورع والخشية، كل هذا خفف من انتشار الكذب وحال دون تفاقم الوضع، الى جانب أن دواعي وضع الحديث وأسبابه كانت ضيقة محدودة لا تزال في نشأتها الأولى. ثم كثرت هذه الاسباب فيما بعد.

ثالثا ـ اسباب الوضع:

١ـ الاحزاب السياسية:

كان أول ما ظهر عقب فتنة أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه شيعة الامام علي، وحزب معاوية، ثم ظهر الخوارج بعد وقعة «صفين» وسنتناول بايجاز أثر هذه الاحزاب في وضع الحديث.

أـ أثر الشيعة وخصومهم في وضع الحديث:

قال ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة: (إن أصل الاكاذيب في أحاديث الفضائل كان من جهة الشيعة، فانهم وضعوا في مبدأ الأمر أحاديث مختلفة في صاحبهم، حملهم على وضعها عداوة خصومهم، فلما رأت البكرية ما صنعت الشيعة وضعت لصاحبها أحاديث في مقابلة هذه الاحاديث)[2].

---

(١) انظر الفقرة الرابعة (القصاص) بعد صفحات وملحقاتها.

(٢) شرح نهج البلاغة ص٢٦ ج٣.

ومما يؤسف له أن بعض أهل الاهواء وأعداء الإسلام اتخذوا التشيع ستار لتحقيق أهوائهم، والوصول إلى مآربهم، فكان كثير من الفتن يقوم باسمهم، فنكب أهل البيت نكبات متوالية، ، ذهب ضحيتها خيرة أبناء أمير المؤمنين علي رضي الله عنه وأحفاده، وسجل لهم التاريخ مآسي تتفطر لها القلوب، وتقشعر لها الابدان، كل ذلك بسبب استغلال أعداء الدين اسم أهل البيت، وهؤلاء المستغلون هم الذين وضعوا الاحاديث في سبيل تأييد حركاتهم وشجعوا على وضعها[1]، وإنا لا نتصور قط أن يوافق الحسن أو الحسين أو محمد بن الحنفية أو جعفر الصادق أو زيد بن علي أو غيرهم من أهل البيت على الكذب على جدهم رسول الله ﷺ وهم على جانب عظيم من الورع والصفاء والتقوى، فأهل البيت براء من الوضع وإثمه، وإنما حمل وزر ذلك باسمهم من لف حولهم من شيعتهم وممن تمسح بهم ممن جاء بعدهم، فأكثروا الموضوعات في علي رضي الله عنه وفي تثبيت خلافته، فأساؤوا إليه أكثر مما أحسنوا، قال أبو الفرج بن الجوزي: (فضائل علي الصحيحة كثيرة، غير أن الرافضة، لا تقنع، فوضعت له ما يضع، لا ما يرفع)[2]. وقال عامر الشعبي: (ما كذب على أحد في هذه الأمة ما كذب على علي رضي الله عنه)[3].

وكان يهم الشيعة إثبات وصية الرسول ﷺ لعلي بالخلافة من بعده،

---

(١) من هذا ما روى عن أبي انس الحراني قال: قال المختار (الثقفي) لرجل من أصحاب الحديث ـ: ضع لي حديثا عن النبي ﷺ أنه كائن بعده خليفة مطالبا له بعترة ولده، وهذه عشرة آلاف درهم وخلعة ومركوب وخادم. فقال له الرجل: أما عن النبي ﷺ فلا، ولكن اختر من شئت من الصحابة، وحط لي من الثمن ما شئت، قال عن النبي ﷺ أوكد، والعذاب عليه أشد. انظر اللآلىء المصنوعة ص٢٤٨ ج٢.

(٢) المنتقى من منهاج الاعتدال ص٤٨٠.

(٣) تذكرة الحفاظ ص٧٧ ج١.

فوضعوا كثيرا من الاحاديث في هذا، منها: «وصيي، وموضع سري، وخليفتي في أهلي، وخير من أخلف بعدي - علي»[1]، ووضعوا في علي رضي الله عنه وذريته وشيعته وغير ذلك، من هذا حديث: «يا علي، إن الله غفر لك ولذريتك ولوالديك ولأهلك ولشيعتك ولمحبي شيعتك»[2]. والى جانب هذا وضع الشيعة أخبارا بشعة تنال من أبي بكر وعمر وغيرهما[3].

وقد رأى بعض الوضاعين من أتباع الاحزاب الأخرى أن هذه الاحاديث تنتقص أبا بكر وعمر وعثمان ومعاوية، فوضعوا مقابلها أحاديث أخرى ترفع من شأنهم، من هذا الحديث، الموضوع على عبدالله بن أبي أوفى أنه قال: «رأيت النبي ﷺ متكئا على عليّ، وإذا أبو بكر وعمر أقبلا، فقال: يا أبا الحسن أحبهما فبحبهما تدخل الجنة[4] وحديث: «ما في الجنة شجرة إلا مكتوب على كل ورقة منها لا إله إلا الله، محمد رسول الله، أبو بكر الصديق، وعمر الفاروق، وعثمان ذو النورين»[5].

ومما وضعه بعض أتباع معاوية حديث: «الأمناء عند الله ثلاثة: أنا وجبريل ومعاوية»[6]. وأمثال هذه الأحاديث كثيرة كلها من صنيعة الاحزاب

---

(١) الفوائد المجموعة في الاحاديث الموضوعة ص٣٦٩.

(٢) الفوائد المجموعة في الاحاديث الموضوعة ص٣٨٤.

(٣) قال ابن أبي الحديد: (فأما الأمور الشنيعة المستهجنة التي تذكرها الشيعة من ارسال قنفذ الى بيت فاطمة.. وأن عمر ضغطها بين الباب والجدار.. وجعل في عنق علي حبلا يقاد به، فكله لا أصل له عند اصحابنا ولا يثبته احد منه، ولا رواه أهل الحديث ولا يعرفونه، وانما هو شيء تنفرد الشيعة بنقله) شرح نهج البلاغة ص١٥٨-١٥٩ ج١.

(٤) تنزيه الشريعة ص٣٤٧ ج١ والفوائد المجموعة ص٣٣٨.

(٥) الفوائد المجموعة ص٣٤٢.

(٦) تنزيه الشريعة المرفوعة ص٤ ونحوه ص٦ ج٢.

المتناوئة، التي حاولت أن تدعم بها موقفها، وترفع من قدر أصحابها وزعمائها، وكان بوسع هؤلاء الابتعاد عن الكذب على رسول الله ﷺ مكتفين بما للصحابة من فضائل ثابتة، ولكن الهوى ساق بعضهم الى ذلك، والجهل أعمى قلوب بعضهم.

ورأى بعض ذوي النيات الحسنة ما كان من هذه الاحزاب وما دار بينها من طعون مختلفة تناولت أئمتهم ورؤساءهم، فدفعهم حبهم للصحابة جميعا إلى وضع أحاديث تذكر فضلهم، وترفع من شأنهم، ولا تفرق بينهم، وقد ظن هؤلاء - بحسن نيتهم - انهم يفعلون خيرا، ظنا منهم أنهم سيقطعون دابر الخلاف بين أتباع تلك الأحزاب، وسيجمعون أمر الأمة وكلمتها، وكأنهم لم يعلموا أنهم يفتئتون على رسول الله الكذب، من ذلك حديث: «أبو بكر وزيري، والقائم في أمتي من بعدي، وعمر حبيبي ينطق على لساني، وأنا من عثمان وعثمان مني، وعلي أخي وصاحب لوائي»[1] وغير ذلك.

ب - الخوارج ووضع الحديث:

لم يثبت أن الخوارج وضعوا شيئا من الحديث على الرسول ﷺ، والراجح أن عدم وضعهم الحديث مرده اعتقادهم ان مرتكب الكبيرة كافر، والكذب من الكبائر. بل إن الاخبار تؤكد انهم اصدق من نقل الحديث. قال ابو داود: (ليس في أصحاب الأهواء أصح حديثاً من الخوارج)[2].

٢- أعداء الإسلام:

لقد قوضت دولة الإسلام دولتي كسرى وقيصر، وقضت على عروش

---

(١) الفوائد المجموعة ص٣٨٦.

(٢) الكفاية ص١٣٠. وقد فندنا بعض ما نسب اليهم من وضع الحديث في كتابنا السنة قبل التدوين: ص٢٠٤-٢٠٦.

الملوك والأمـراء الـذين كانـوا يحكمـون الشعـوب الخاضعة لهم، يذيقونها العذاب، ويستنزفون خيراتها، ويسترقون أبناءها، وكان حول هؤلاء الحكام الخواص والمتفعون المستغلون. فعندما انتشر الإسلام، وخالط قلوب الأمم المظلومة، والشعوب المغلوبة على أمرها من قبل رعاتها، تذوق هؤلاء نعمة الحرية، وشعروا بالكرامة الإنسانية، في حين أفلتت السلطة من يد الحكام، وخسروا مناصبهم، وضاعت تلك المنافع التي كانوا ينالونها باستغلال أبناء الشعب، الذي عرف قيمة الحياة بعد أن حطم قيود الظلم باعتناق الإسلام، ولم يرق الوضع الجديد أولئك المتسلطين، فكادوا للإسلام، وحقدوا عليه، ولم يستطيعوا أن يحققوا آمالهم بقوة السيف، لقوة الدولة الإسلامية، فراحوا ينفـرون النـاس من العقيدة الجديدة، ويصورون الإسلام وتعاليمه أبشع الصور في عقائده وعباداته وأفكاره، وظهر هؤلاء بمظاهر مختلفة، وتحت أسماء فرق متعـددة، إلا أن محاولاتهم باءت بالفشـل أمـام قوة الإسلام، وسمو مقاصده، وصفاء عقيدته، ودقة تشريعه، وأمام جهود علمائه وحفاظه.

ومن أمثلة ما وضعه هؤلاء ليضللوا به أتباع الإسلام، وينفروا منه من يحب اعتناقه ما رووه: (أن نفرا من اليهود أتوا الرسول ﷺ فقالوا: من يحمل العـرش؟ فقال: تحمله الهوام بقرونها، والمجرّة التي في السماء من عرقهم، قالوا: نشهد أنك رسول الله ﷺ)[1]، قال ابو القاسم البلخي: (هذا والله تقوّل، وقد أجمع المسلمون على أن الذين يحملون العرش ملائكة)[2].

وإن هؤلاء لأشد ضررا وبلاء على الإسلام من غيرهم، فقد كان منهم من يفحش في الكـذب والافتراء، ومن هؤلاء عبدالكريم بن أبي العوجاء الذي اعترف قبل أن تضرب عنقه بوضعه الحديث، فقال: (والله لقد وضعت

(١و٢) قبول الاخبار ص١٤.

فيكم اربعة آلاف حديث أحرم فيها الحلال وأحلّ الحرام»[1].

إلا ان هذه الموضوعات لم تخف على رجال هذا العلم، فبينوها وتتبعوا الكاذبين الذين وضعوها.

٣ـ التفرقة العنصرية والتعصب للقبيلة والبلد والإمام:

اعتمد بعض أولي الأمر من بني أمية في إدارة شؤون الدولة وتسيير أمورها على العرب خاصة، وتعصب بعضهم للعرب، وربما نظر بعض العرب الى المسلمين من العناصر الأخرى نظرة لا توافق روح الإسلام، حتى ان طبقة الموالي ـ وهم المسلمون من غير العرب ـ شعرت بهذه العنصرية، فكانوا يحاولون المساواة بينهم وبين العرب، وانتهزوا أكثر الاضطرابات والحركات الثورية فانضموا اليها في سبيل تحقيق ذلك[2]، والى جانب هذا كانوا يبادلون العرب الاعتزاز والفخار، فحمل هذا بعضهم على وضع احاديث ترفع من قدرهم، وتبين فضائلهم. من هذا حديث «ان كلام الذين حول العرش بالفارسية. . .»[3] فوضع مقابله حديث: «أبغض الكلام الى الله الفارسية. . . وكلام أهل الجنة العربية»[4].

وكما وضعت أحاديث في الجنس واللغة وضعت أحاديث في فضائل القبائل والبلدان والأئمة، والراجح عندي أن انتقال مركز ادارة الدولة الإسلامية من بلد الى آخر كان له أثر بعيد في دفع بعض المتعصبين الى وضع

---

(١) اللآلىء المصنوعة ص٢٤٨ ج٢، وقد امر بضرب عنقه محمد بن سليمان بن علي أمير البصرة الذي كانت امارته من سنة (١٦٠-١٧٣هـ). انظر ميزان الاعتدال ص٦٤٢ ج٢.

(٢) انظر تاريخ الإسلام للدكتور حسن ابراهيم حسن ص٣٤٢ ج١.

(٣) تنزيه الشريعة المرفوعة ص١٣٦ ج١.

(٤) تنزيه الشريعة ص١٣٧ ج١.

الاحاديث في فضائل بلدانهم وأئمتهم، ومثال ما وضع في فضائل البلدان حديث: «أربع مدائن من مدن الجنة في الدنيا: مكة، والمدينة، وبيت المقدس، ودمشق»[1].

ومما لا شك فيه أن التعصب للائمة لم يظهر إلا في القرن الثالث الهجري، ولم تبد هذه الظاهرة إلا من الاتباع الجاهلين، ومثال هذه الأحاديث حديث: «يكون في أمتي رجل يقال له محمد بن إدريس أضر على أمتي من إبليس، ويكون في أمتي رجل يقال له ابو حنيفة هو سراج أمتي»[2]. وغير ذلك . . .

٤ـ القصاصون:

كان بعض القصاص لا يهمه إلا أن يجتمع الناس عليه، فيضع لهم ما يرضيهم من الاحاديث التي تستثير نفوسهم، وتحرك عواطفهم ويمنيهم بما يحبون، ومن هؤلاء القصاص من كان يفعل ذلك لينال أعطيات المستمعين، ويستفيد منهم. وقد كان معظم البلاء من هؤلاء وهؤلاء الذين يكذبون على رسول الله ﷺ، ولا يرون في هذا إثما ولا بهتانا. والغريب الذي يؤسف له أن هؤلاء القصاص وجدوا آذانا تسمع لهم وتصدقهم وتدافع عنهم من جهلة العامة التي لا يهمها البحث والتقصي[3].

٥ـ الرغبة في الخير مع الجهل بالدين:

رأى بعض الصالحين والزهاد انشغال الناس بالدنيا عن الآخرة،

---

(١) تنزيه الشريعة ص٤٨ ج٢.

(٢) تنزيه الشريعة ص٣٠ ج٢.

(٣) منع عمر رضي الله عنه القصاص من الجلوس في المسجد، ولم يقص احد في عهد الرسول ﷺ ولا في عهد الخلفاء الراشدين، وانما قص بعد ذلك انظر كتاب العلم للمقدسي ص٥٢، وتمييز المرفوع عن الموضوع ص١٨ : ب.

فوضعـوا أحاديث في الترهيب والترغيب حسبة لله[1]، وقد حملهم جهلهم بالدين على استساغة ما سولت لهم أنفسهم ليرغبوا الناس في صالح الاعمال، ولو اطلعوا على جانب مما ثبت من الاحاديث النبوية لرأوا فيه ثروة عظيمة تغنيهم عما افتروه، وكانوا إذا ذكروا بقوله ﷺ «من كذب عليّ متعمدا فليتبوأ مقعده من النار» قالوا: نحن ما كذبنا عليه، إنما كذبنا له[2]. وقد أخذ العامة بصلاحهم فكانوا يصدقونهم ويثقون بهم، فكان خطرهم شديدا على الدين، بل هم أعظم ضررا من غيرهم، لما عرفوا به من الصلاح والزهد، الذي لا يتصور معه العامي اقدام مثل هؤلاء الصالحين على الكذب. وفي هذا يقول الحافظ يحيى بن سعيد القطان: (ما رأيت الكذب في أحد أكثر منه فيمن ينسب إلى الخير والزهد)[3].

ومما وضعه الصالحون أحاديث فضائل السور، سورة سورة، وبعض الرقائق، وغيرها قيل لأحد هؤلاء: (من أين جئت بهذه الاحاديث: من قرأ كذا فله كذا؟ قال: وضعتها أرغب الناس فيها)[4]، وقال أبو عبدالله النهاوندي لغلام خليل ـ احمد بن محمد بن غالب الباهلي ـ (ما هذه الرقائق التي تحدث بها؟ قال: وضعناها لنرقق بها قلوب العامة)[5].

(١) انظر قبول الاخبار ص٧ـ٨ وص١٥.

(٢) انظر اختصار علوم الحديث ص٨٦.

(٣) اللآلىء المصنوعة ص٢٤٨ ج٢.

(٤) تدريب الراوي ص١٨٤، واللآلىء المصنوعة ص٢٤٨ ج٢. ولا بد من الاشارة إلى أنه قد وردت أحاديث في فضائل بعض السور، كما هو واضح في كتب الصحاح والسنن في أبواب التفسير، وفضائل القرآن، وثواب القرآن، إلا انه لم ترد أحاديث في فضائله سورة فسورة.

(٥) ميزان الاعتدال ص٦٦-٦٧ ج١، وتدريب الراوي ص١٨٥.

وكـل هذه الاحاديث الموضوعة لم تخف على العلماء بل بينوها وحذروا الناس من واضعيها.

٦ـ الخلافات المذهبية والكلامية:

وكما دعم اتباع الاحزاب السياسية آراءهم وأحزابهم بوضع الاحاديث، وضع بعض اتباع المذاهب الفقهية والكلامية احاديث في تأييد مذاهبهم، من هذا حديث «من رفع يديه في الركوع فلا صلاة له»[١]، وحديث «كل ما في السموات والأرض وما بينهما فهو مخلوق غير القرآن... وسيجيء أقوام من أمتي يقولون القرآن مخلوق، فمن قاله منهم فقد كفر بالله العظيم، وطلقت امرأته من ساعته»[٢].

٧ـ التقرب من الحكام واسباب أخرى:

لم ينقل أحد يعتد به ان احدا من رجال الحديث أو غيرهم تقرب من خلفاء بني أمية بوضع ما يرضى ميولهم من الحديث[٣]، وطبيعي أن يتقرب بعض المرائين إلى الطبقة الحاكمة في بعض العصور بوضع ما يرضيهم من الحديث، ومن أقدم ما يروى في هذا مما وقع في عهد العباسيين ما أسنده أبو عبدالله الحاكم عن هارون بن أبي عبيد عن أبيه قال: (قال لي المهدي: ألا ترى ما يقول لي مقاتل؟ قال: ان شئت وضعت لك أحاديث في العباس قلت لا حاجة لي فيها)[٤].

---

(١) تدريب الراوي ص١٨١. وانظر لسان الميزان ص٢٨٨-٢٨٩ ج٥.

(٢) تنزيه الشريعة ص١٣٤ ج١.

(٣) فندنا في الفصل الثاني من كتابنا أبي هريرة راوية الإسلام بعض الشبهات في ذلك فليراجع.

(٤) تدريب الراوي ص١٨٧ والباعث الحثيث ص٩٤، وابو عبيدالله هو وزير المهدي.

وقد كذب غياث بن ابراهيم للمهدي في حديث: «لا سبق الا في نصل أو خف أو حافر» فزاد فيه «أو جناح» حين رآه يلعب بالحمام فتركها المهدي بعد ذلك وأمر بذبحها بعد أن أعطاه عشرة آلاف درهم، وقال فيه بعد أن ولى (أشهد على قفاك أنه قفا كذاب على رسول الله ﷺ)(١). وفي رواية (أمر له المهدي ببدرة، فلما قام قال: أشهد على قفاك أنه قفا كذاب على رسول الله ﷺ، ثم قال المهدي: أنا حملته على ذلك، ثم أمر بذبح الحمام ورفض ما كان فيه)(٢) وفي رأينا أن انكار المهدي عليه لا يكفي، بل كان عليه ألا يعطيه عشرة الآف درهم من اموال المسلمين، لكذبه على الرسول الكريم، وأن يمنعه من هذا ويزجره ويحبسه إذا لم يشأ أن يضرب عنقه لكذبه وافترائه.

وهناك أسباب أخرى لوضع الحديث، كوضع الحديث في مدح عمل معين أو تجارة معينة، أو اصناف معينة من المآكل، لترويجها، وكرفع قدر بعض المهن والحط من غيرها، وغير ذلك. وقد بين العلماء جميع هذا، فلم يخف على الأمة، ولم يلتبس عليها أمر دينها ودنياها، فعرفت الصحيح من غيره.. كما وضع العلماء قواعد علمية دقيقة لبيان الموضوع والوضاعين وحفظ الحديث من عبث المغرضين والجاهلين..

رابعا ـ حكم الوضع، وحكم رواية الموضوع:

أجمع المسلمون على حرمة وضع الحديث مطلقا، وخالفت فرقة الكرامية(٣) في ذلك، وجوزّت الوضع في الترغيب والترهيب دون ما يتعلق به

---

(١) المدخل ص٢٠-٢١، وتدريب الراوي ص١٨٧.

(٢) تنزيه الشريعة ص١٤-١٥ ج١.

(٣) نسبة إلى زعيمهم محمد بن كرام السجستاني، وقد كان مجسما من المتكلمين تبعه بعض أهل خراسان وفلسطين وتوفي سنة ٢٥٥هـ. وانظر بعض آرائهم ومقالاتهم في كتاب التبصير في الدين ص٩٩.

حكم من الثـواب والعقـاب، ترغيبـا للنـاس في الـطاعـة وترهيبا لهم من المعصية[1]، وقـولهم هذا مردود لا يقـوم على أساس سليم، ويرده المنقول والمعقول، فقد حذر الرسول ﷺ من الكذب عليه وقال: «من كذب عليّ متعمدا فليتبوأ مقعده من النار». وقد أجمع جمهور أهل السنة على أن الكذب من الكبائر، ورد جميع أهل الحديث خبر الكاذب على رسول الله ﷺ، وبالغ الشيخ أبو محمد الجويني فكفر واضع الحديث.

وكـل حديث موضـوع باطل مردود لا يعتد به لأنه كذب وافتراء على الرسول ﷺ.

وكـما أجمـع العلماء على حرمـة وضع الحديث أجمعوا على حرمة رواية الموضوعات من غير بيان وضعها وكذبها، ولم يجوزوا رواية شيء منها سواء أكان في القصص والترغيب والترهيب والاحكام أم لم يكن، لحديث الرسول : «من حدّث عني بحديث يُرىَ انه كذب فهو أحد الكاذبين»[2]. وأما رواية الموضوع مع بيان حاله فلا بأس بها، لان في هذا البيان تمييز الموضوع مما ينسب إلى الرسول ﷺ، وحفظ السنة وصيانتها من كل دخل.

---

(١) انظر تدريب الراوي ص١٨٥، والباعث الحثيث ص ٨٥.

(٢) اخرجه الامام مسلم عن سمرة بن جندب والمغيرة بن شعبة، انظر صحيح مسلم ص٩ ج١. وفي «يرى» روايتان بضم الياء وبفتحها، أي بالبناء للمجهول وبالبناء للمعلوم، وفي (الكاذبين) روايتان أيضاً بلفظ الجمع وبلفظ المثنى، والمعنى واضح على الروايتين.

الفصل الثاني

جهود العلماء في مقاومة الوضع.

قيض الله عز وجل لهذه الأمة رجالاً امناء مخلصين، قاوموا الوضاعين وتتبعوهم، ومازوا الباطل من الصحيح، وبذلوا جهودا عظيمة في سبيل حفظ الشريعة وأصولها، منذ عصر الصحابة إلى ان تم جمع الحديث في أمهات كتبه ومصنفاته، وبحثوا في كل ما يتعلق بالحديث النبوي رواية ودراية، وخطوا خطوات جليلة كفلت سلامة السنة من العبث على مر الاجيال، وسنستعرض الآن بعض ما بذله العلماء في سبيل حفظ الحديث.

١ـ التزام الاسناد:

تشدد الصحابة والتابعون ومن بعدهم في طلب الاسناد من الرواة، والتزموه في رواية الاحاديث، لأن السند للخبر كالنسب للمرء. قال الامام محمد بن سيرين: (لم يكونوا يسألون عن الاسناد، فلما وقعت الفتنة قالوا سموا لنا رجالكم، فينظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم، وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم)[1]. وقال الامام الحافظ عبدالله بن المبارك: (الاسناد من الدين، ولولا الاسناد لقال من شاء ما شاء)[2].

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ص٨٤ ج١، وسنن الدارمي ص ١١٢ ج١. وشرف أصحاب الحديث ورقه ٨٠: ب.

(٢) المرجع السابق ص٧٧ ج١.

وعنه: (مثل الذي يطلب أمر دينه بلا اسناد كمثل الذي يرتقي السطح بلا سلم)[1] وقال الامام الحافظ سفيان الثوري (الاسناد سلاح المؤمن، فاذا لم يكن معه سلاح فبأي شيء يقاتل)[2].

ولم يقتصر التشدد في طلب الاسناد على محيط العلماء وطلاب العلم، بل أصبح الاسناد أمرا بدهيا مسلما به عند العامة والخاصة، ويظهر هذا فيما يرويه الاصمعي فيقول: (حضرتُ ابن عيينة وأتاه اعرابي فقال: كيف اصبح الشيخ يرحمه الله؟ فقال سفيان: بخير نحمد الله، قال: ما تقول في امرأة من الحاج حاضت قبل أن تطوف بالبيت؟ فقال: تفعل ما يفعل الحاج غير أنها لا تطوف بالبيت، فقال هل من قدوه قال: نعم، عائشة حاضت قبل ان تطوف بالبيت، فأمرها النبي ﷺ أن تفعل ما يفعل الحاج غير الطواف، قال: هل من بلاغ عنها؟ قال: نعم، حدثني عبدالرحمن بن القاسم عن أبيه عن عائشة بذلك. قال الاعرابي: لقد استسمنت القدوة، وأحسنت البلاغ والله لك بالرشاد)[3].

وهكذا أخذ الإسناد المتصل نصيبه من العناية والاهتمام منذ عهد التابعين، حتى أصبح من واجب المحدث أن يبين نسب ما يروى، وهو باسناده الحديث يرفع العهدة عن نفسه، ويطمئن الى صحة ما ينقل عندما ينتهي سنده المتصل الى الرسول ﷺ. كما يبعث الطمأنينة في نفوس السامعين، بروايته بسنده المتصل.

---

(١) شرف أصحاب الحديث ورقه ٨٠: ب.
(٢) المرجع السابق.
(٣) الكفاية ص٤٠٤.

٢ـ مضاعفة النشاط العلمي والتثبت في الحديث:

ان النشاط العلمي الذي عرفناه في عصر الصحابة والتابعين، والرحلة في طلب الحديث، والتثبت والاستيثاق له، والاحتياط في روايته، وانتشار الصحابة الحفاظ في أنحاء الدولة الاسلامية واجتهادهم في نشر الحديث[1] ـ كل هذا يبين الحيوية العلمية في صدر الإسلام، ونشاط أهل العلم في سبيل حفظ الحديث ونشره، وبيان المردود من المقبول، والدخيل من الاصيل، وقد كان كثير من التابعين إذا سمعوا الحديث من غير الصحابة أسرعوا إلى من عندهم من صحابة رسول الله ﷺ ليتأكدوا مما سمعوا، وكذلك كان يفعل صغار التابعين مع كبارهم، وأتباع التابعين مع التابعين، وهكذا فعل معظم من جاء من بعدهم، فلم تنقطع الرحلة في طلب الحديث على مر العصور. كما لم ينقطع التثبت والاستيثاق لحديث رسول ﷺ.

وقد اجتهد أهل العلم في حفظ الحديث ومذاكرته فيما بينهم، وكان أئمة الحديث على جانب عظيم من الوعي والاطلاع، فكانوا يحفظون الصحيح والضعيف والموضوع[2] حتى لا يلتبس عليهم الحديث، وفي هذا يقول الامام سفيان الثوري: (إني لأروي الحديث على ثلاثة أوجه، اسمع الحديث من الرجل أتخذه دينا، وأسمع من الرجل أقف حديثه وأسمع من الرجل لا أعبأ

(١) انظر كتابنا السنة قبل التدوين.

(٢) من هذا ان الامام احمد رأى الامام يحيى بن معين بصنعاء يكتب صحيفة معمر عن أبان عن أنس، فقال له تكتب صحيفة معمر عن أبان عن أنس وتعلم أنها موضوعة؟ فقال: رحمك الله يا أبا عبدالله، اكتب هذه الصحيفة عن عبدالرزاق عن معمر على الوجه فاحفظها كلها، واعلم أنها موضوعة حتى لا يجيىء بعده إنسان فيجعل بدل أبان ثابتا، ويرويها عن معمر عن ثابت عن أنس بن مالك، فأقول له: كذبت إنما هي عن معمر عن أبان لا عن ثابت. (الجامع لاخلاق الراوي ف١٦٣٧).

بحديثه وأحب معرفته)[1].

٣ـ تتبع الكذبة:

الى جانب تثبت أهل العلم واحتياطهم في قبول الحديث، كان بعضهم يحارب القصاصين والكذابين ويمنعهم من التحديث ويبين أمرهم، ويحذر الناس منهم، وكان جميع أهل العلم يبينون لطلابهم الموضوع من غيره، ويحذرونهم من أخبار الكذابين، ولم يقصر أهل العلم وطلابهم في محاربة الكذبة، وأخبارهم في هذا المضمار أكثر من ان يتسع لها هذا المقام، ومن أشهر من عرف بتصديه لهؤلاء عامر الشعبي (ـ١٠٣هـ)، وشعبة بن الحجاج (ـ١٦٠هـ)، الذي كان شديدا على الكذابين، وسيفا مسلطا على رقابهم، وسفيان الثوري (ـ١٦١هـ)، وعبدالله بن المبارك (ـ١٨١هـ) وعبدالرحمن بن مهدي (ـ١٩٨هـ) وغيرهم ممن جاء بعدهم مثل يحيى بن معين (١٥٩ـ٢٣٣هـ) وعلي بن المديني (١٦١ـ٢٣٤هـ)، واحمد بن حنبل (١٦٤ـ٢٤١هـ)، ومحمد بن اسماعيل البخاري (١٩٤ـ٢٥٦هـ)... وكان نتيجة هذا أن توارى الكذابون، وكفوا عن كذبهم، كما أصبح عند العامة وعيّ جيد يميزون به بين المتطفلين على الحديث ـ وأهله ورجاله الثقات.[2]. ومما يؤكد هذا قول يزيد بن هارون، قال: (كان جعفر بن الزبير وعمران بن حُدَيْر في مسجد واحد مصلاهما، وكان الزحام على جعفر بن الزبير، وليس عند عمران أحد، وكان

---

(١) الكفاية ص٤٠٢، وفي رواية عنه (اني لاكتب الحديث على ثلاثة وجوه....) انظر الجامع لاخلاق الراوي ف١٦٣٩.

(٢) من أخبار هؤلاء الأئمة، قال الشافعي: (لولا شعبة ما عرف الحديث بالعراق، كان يجيء إلى الرجل فيقول: لا تحدث وإلا استعديت عليك السلطان) وسمع عمرو الأنماطي حماداً المالكي يحدث وكان كذاباً فقال له: والله لا تفارقني حتى استعدي عليك، فحلف ألا يحدث، فكتب على حماد كتاباً وأشهد عليه شهوداً، وكان عامر الشعبي يمر بأبي صالح صاحب التفسير فيأخذه باذنه ويقول ويحك كيف تفسر القرآن وأنت لا تحسن أن تقرأ: السنة قبل التدوين ص٢٣٠.

شعبة يمر بها فيقول: يا عجباً للناس اجتمعوا على أكذب الناس، وتركوا أصدق الناس، قال يزيد، فما أتى عليه قليل حتى رأيت الزحام على عمران، وتركوا جعفرا وليس عنده أحد)[1] فقد قيض الله تعالى لهذه الأمة أئمة مخلصين، حفظوا سنة رسول الله ﷺ وحافظوا عليها، وصانوها من كل دخيل، قال عبدالله بن المبارك: (لو هم رجلٌ في السحر أن يكذب في الحديث، لأصبح الناس يقولون فلان كذاب)[2].

وقال سفيان الثوري (ما ستر الله أحدا يكذب في الحديث)[3] وعنه، قال: (من هم بهذا الحديث ـ أي اراد به سوءا ـ أبدى الله خزيه، فكيف بمن يكذب)[4].

والواقع يؤكد هذا، فقد أخذ هارون الرشيد زنديقاً ليقتله، فقال له: (أين أنت من ألف حديث وضعتها، فقال له الرشيد: أين أنت يا عدو الله من أبي اسحاق الفزاري وابن المبارك ينخلانها حرفاً حرفاً)[5].

قال ابن الجوزي (٥٠٨ـ٥٩٧هـ): لما لم يمكن أحد أن يزيد في القرآن أخذ أقوام يزيدون في حديث رسول الله ﷺ ويضعون عليه ما لم يقل، فأنشأ الله علماء يذبون عن النقل ويوضحون الصحيح ويفضحون القبيح وما يخلى الله منهم عصراً من الأعصار غير أنهم قلوا في هذا الزمان فصاروا أعز من عنقاء مغرب:

وقد كانوا إذا عدوا قليلا فقد صاروا أقل من القليل[6]

---

(١) تهذيب التهذيب ص٩١ ج٢.
(٢) و(٣) الموضوعات ص٤٨ ج١.
(٤) المحدث الفاصل فقره (٢١٩) ص٣١٩.
(٥) تهذيب التهذيب ص١٥٢ ج١ وتنزيه الشريعة ص١٦ ج١.
(٦) تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأحاديث الشنيعة الموضوعة ص١٦ ج١.

قوله هذا بعد أن جمع الحديث في دواوينه ومصنفاته بما لا يقل عن ثلاثة قرون، وعرف الصحيح من غيره، وقيد الموضوع وحذر الأئمة منه.

قال سفيان الثوري: الملائكة حراس السماء وأصحاب الحديث حراس الأرض، وقال يزيد بن زريع: لكل دين فرسان وفرسان هذا الدين أصحاب الأسانيد. قيل لعبدالله بن المبارك: هذه الأحاديث الموضوعة؟ فقال تعيش لها الجهابذة[1]، قال ابن عراق: وقال ابن قتيبة في كتابه اختلاف الحديث يمدح أهل الحديث: التمسوا الحق من وجهته وتتبعوه من مظانه، وتقربوا إلى الله باتباعهم سنن رسول الله ﷺ وطلبهم لأخباره براً وبحراً وشرقاً وغرباً، ولم يزالوا في التنقير عنها والبحث لها حتى عرفوا صحيحها وسقيمها، وناسخها ومنسوخها، وعرفوا من خالفها إلى الرأي، فنبهوا على ذلك حتى نجم الحق بعد ان كان عافياً، وبسق بعد أن كان دارساً، واجتمع بعد أن كان متفرقاً، وانقاد للسنة من كان عنها معرضاً، وتنبه عليها من كان غافلاً، وقد يعيبهم الطاعنون بحملهم الضعيف وطلبهم الغريب وفي الغرائب الداء، ولم يحملوا الضعيف والغريب لأنهم رأوهما حقا، بل جمعوا الغث والسمين والصحيح والسقيم ليميزوا بينهما ويدلوا عليهما، وقد فعلوا ذلك فقالوا في الحديث المرفوع: شرب الماء على الريق يعقد الشحم، وحديث ابن عباس أنه كان يبصق في الدواة ويكتب منها، موضوعان وضعهما عاصم الكوزي، قالوا: وحديث الحسن أن رسول الله ﷺ لم يجز طلاق المريض وضعه سهل السراج، وسهل روى أنه رأى الحسن يصلي بين سطور القبور وهذا باطل، لأن الحسن روى أن رسول الله ﷺ نهى عن الصلاة بين القبور، وقالوا: وحديث أنس ابن مالك رفعه لا يزال الرجل راكبا ما دام منتعلاً[2] وضعه أيوب بن خوط، وحديث عمرو بن حريث: رأيت النبي ﷺ يسار يوم العيد بين يديه

(١) المرجع السابق ص١٦ ج١.

(٢) يريد بهذا الطريق.

بالحراب، وحديث ابن أبي أوفى رأيت النبي ﷺ يمس لحيته في الصلاة وضعهما المنذر بن زياد، وحديث يونس عن الحسن أن رسول الله ﷺ نهى عن عشر كنى، وضعه أبو عصمة قاضي مرو، وقالوا في أحاديث على ألسنة الناس ليس لها أصل، منها: سعادة المرء خفة عارضيه ومنها: سموهم بأحب الأسماء إليهم وكنوهم بأحب الكنى إليهم، ومنها: خير تجاراتكم البز وخير أعمالكم الخرز، ومنها: لو صدق السائل ما أفلح من رده[1] ومنها: الناس أكفاء إلا حائك أو حجام، مع حديث كثير قد رووه وأبطلوه انتهى؛ وقال ابن حبان أخبرني الحسن بن عثمان بن زياد قال حدثنا محمد بن منصور قال: مر أحمد بن حنبل على نفر من أصحاب الحديث وهم يعرضون كتابا لهم، فقال: ما أحسب هؤلاء إلا ممن قال رسول الله ﷺ «لا تزال طائفة من أمتي على الحق حتى تقوم الساعة، قال ابن حبان: ومن أحق بهذا التأويل من قوم فارقوا الأهل والأوطان وقنعوا بالكسر والأطمار في طلب السنن والآثار، يجولون البراري والقفار ولا يبالون بالبؤس والإقتار، متبعين لآثار السلف الماضين وسالكين ثبج محجة الصالحين، برد الكذب عن رسول رب العالمين وذب الزور عنه حتى وضح للمسلمين المنار. وتبين لهم الصحيح من الموضوع والزور من الأخبار[2].

٤ـ بيان احوال الرواة:

كان لا بد لأهل العلم من معرفة رواة الحديث معرفة تمكنهم من الحكم بصدقهم وضبطهم أو كذبهم ليتمكنوا من تمييز الصحيح من المكذوب،

---

(١) هذا الحديث أدرجه ابن المديني في خمسة أحاديث قال إنه لا أصل لها لكن روى الطبراني بسند ضعيف من حديث أبي أمامة «لولا أن السائلين يكذبون ما أفلح من ردهم» وله طريق أخرى عن علي وعائشة. قال ابن عبدالبر في الاستذكار. وأسانيدها ليست بالقوية.

(٢) تنزيه الشريعة المرفوعة ص١٧ ج١

والخبيث من الطيب، لذلك تتبعوا حياة الرواة، وعرفوا أحوالهم، فكانوا ينقدونهم ويعدلونهم حسبة لله، لا تأخذهم في ذلك خشية أحد[1].

وهكذا ساهمت جهود العلماء في هذا المضمار بتكوين علم الجرح والتعديل، الذي أرسى قواعده وأسسه الصحابة والتابعون وأتباعهم، وقد ظهر في كل عصر عدد من النقاد تكفل ببيان أحوال الرواة، ونقل السنة وحفظها على أسلم القواعد العلمية. ثم ما لبث أن صنف العلماء المؤلفات الضخمة في الرواة وأقوال النقاد فيهم، حتى إنه لم يعد يختلط الكذابون والضعفاء بالعدول الثقات.

٥ـ وضع قواعد لمعرفة الموضوع من الحديث:

كما وضع العلماء قواعد دقيقة لمعرفة الصحيح والحسن والضعيف، وضعوا قواعد لمعرفة الموضوع منه، وذكروا ما يدل على الوضع في السند والمتن. وفصلوا القول في هذا مما بسطته كتب علوم الحديث[2].

٦ـ وكانت ثمرات جهود العلماء في المحافظة على السنة

تلك المصنفات الكثيرة فيها، من مطلع القرن الهجري الثاني من مجاميع ومسانيد وصحاح وسنن وموطآت ومعاجم أكثر من أن تحصى، لا تزال شاهدة على خدمة علماء الأمة لحديث الرسول ﷺ. وإلى جانب هذا جمعوا الأحاديث الموضوعة في كتب خاصة وبينوا واضعيها والمتهمين بها، وحذروا الأمة منها. كما تتبعوا من عرف بالوضع أو اتهم به، وصنفوا فيهم، ولا يكاد يخلو كتاب في الموضوعات من ذكر الوضاعين، ومن أجمع من جمع اسماء الوضاعين ابن عراق الكناني الذي أدرج اسماءهم مرتبة على حروف الهجاء في مقدمة كتابه تنزيه الشريعة من الصفحة (١٩) حتى الصفحة (١٣٣) من الجزء الأول. فجزى الله تعالى علماء الأمة عنها خير الجزاء.

---

(١) انظر ص٢٢٧ من كتابنا الوجيز في علوم الحديث.

(٢) انظر ص٤٢٣ وما بعدها من كتابنا الوجيز في علوم الحديث.

الفَصل الثَالِث

تَنفيذ بَعض الشبهَات وَتَصحيح بَعض المفَاهيمُ .

بين يدي الفصل :

أولا ـ بين التبشير والدعوة أو الدعاية .

ثانيا ـ لم يكن الإسلام ثورة بالمعنى السائد .

أ ـ هل كان الإسلام ثورة؟ .

ب ـ أثر الشعارات في الايحاء . .

جـ هل حاول كل نظام دعم وجوده بالأحاديث؟ .

ثالثا ـ هل استغلت الدولة في صدر الإسلام الحديث النبوي؟ .

رابعاً ـ هل اشترى أولو الأمر ضمائر الفقهاء؟ .

أ ـ تبرئة أولي الأمر من هذا الاتهام . .

١ ـ بعض ما روي في هذا . .

٢ ـ جولد تسيهر واتهامه عبدالملك بن مروان بحمل الزهري على الكذب . .

٣ ـ أبو البختري الوضاع ! ! !

٤ ـ المهدي وبعض الوضاعين .

ب ـ تبرئة الفقهاء من تلك التهمة الباطلة .

خامساً ـ القصاصون بين الواقع والخيال:

أ ـ حقيقة القصاصين.

ب ـ الغلو في القصاصين.

ج ـ مواقف العلماء وأولي الأمر من القصاص.

د ـ خلاصة القول في القصاص.

هـ ـ شتان بين القاص ووزير العدل والإعلام.

و ـ هل اسند القضاء والقصص إلى أحد في صدر الإسلام؟.

سادساً ـ هل لبس القصص على المسلمين أمر دينهم وشوه تاريخهم؟.

أ ـ القصص والحديث النبوي.

ب ـ القصص وكتب التاريخ.

ج ـ القصص والدين الإسلامي.

بين يدي الفصل:

لا نريد في هذا الفصل أن نتتبع سقطات بعض الكتاب وتفنيدها، بقدر ما نريد أن نصحح بعض المفاهيم التي لها صلة بحديث الرسول ﷺ خاصة، وبالإسلام والمسلمين عامة في صدر الإسلام، وبيان الدلالات الصحيحة، فيما يتعلق بالإعلام وما يلحق به، ولا نشك قط في حسن قصد بعض الباحثين وصفاء نياتهم، وإن قعد بهم حسن التعبير عما يريدون أحياناً، أو استعملوا بعض المصطلحات في غير مواضعها أحياناً أخرى.. كما أننا سنفند بعض الشبهات، لتتجلى الحقيقة العلمية، حرصاً منا على وضع الأمور في نصابها من الناحية الدينية والعلمية والتاريخية من غير افراط ولا تفريط..

أولاـ بين التبشير والدعوة أو الدعاية:

قال الاستاذ الدكتور عبداللطيف حمزة: (كان رسول الله ﷺ معلم هذه الأمة.. ومن أجل هذا حملت خطب النبي ﷺ وأحاديثه طابعين في وقت معاً، وهما:

١ـ طابع التعليم والارشاد والهداية.

٢ـ طابع التبشير والدعوة أو الدعاية. والطابع الأخير هو الذي يعنينا في هذا الفصل، ولعل أكبر شاهد على هذا الطابع أحاديثه ﷺ في موضوع الجهاد،

والجهاد كان ولا يزال من أقوى وسائل الدعوة الإسلامية، ومن أعظم اسباب انتشارها[1] أقول:

أـ كانت مهمة رسول الله ﷺ التبليغ عن الله عز جل والتعليم، مصداقا لقوله تعالى: ﴿فهل على الرسل إلا البلاغ المبين﴾[2]، كما كانت مهمته بيان ما يتنزل عليه ﷺ من رب العالمين، امتثالاً لأمره سبحانه وتعالى: ﴿وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نُزِّلَ إليهم ولعلهم يتفكرون﴾[3].

فكل ما كان يصدر عن الرسول ﷺ من قول أو فعل أو تقرير فيه البيان والتعليم والإعلام، ولم يكن الإعلام قاصراً على خطبه ﷺ، وإن كانت خطبه لوناً من ألوان الإعلام والتعليم. فهو الأسوة والقدوة كما قال سبحانه وتعالى: ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً﴾[4].

وقال ﷺ: «ألا إني أوتيتُ الكتاب ومثله معه»[5]. وسبق أن بينت أثر نشاط الرسول ﷺ في انتشار الدعوة. لا نشك في أن منهج النبي ﷺ في الدعوة إلى الله عز وجل كان قائماً على التبشير وعدم التنفير، وكان يوصي رسله وبعوثه بهذا فيقول: «بَشرِّوا ولا تنفروا، ويسروا ولا تعسروا» أخرجه البخاري ومسلم.

---

(١) الاعلام في صدر الإسلام ص٥٨
(٢) [٣٥: النحل].
(٣) [٤٤: النحل].
(٤) [٢١: الأحزاب].
(٥) اخرجه أبو داود سنن أبي داود ص٢٧٩ ج ٤.

ب ـ وفي مطلع القرن العشرين تغير مفهوم «التبشير»، واستقر اطلاق هذا اللفظ (التبشير) على ما تقوم به الحملات والبعثات التبشيرية من نشاط في ديار الإسلام لتحويل المسلمين عن دينهم وترغيبهم بغيره من الأديان، وإن كانت مهمتهم الأولى زعزعة العقيدة في النفوس، واخراج أبناء المسلمين من الإسلام بمختلف الوسائل والمغريات، وباستغلال الضروريات الأولى للحياة من غذاء وعلاج وتعليم في سبيل ذلك، ومعلوم أن فكرة الغزو الفكري والتبشير قد ظهرت بذورهما في أعقاب الحروب الصليبية، بعد أن أدرك الغزاة أثر الإسلام في قوة المسلمين، وأنه لا سبيل لغزو ديار الإسلام عسكرياً، والسبيل الوحيد لبقاء مصالح الغرب والشرق غير المسلم في ديار المسلمين ـ التبشير والغزو الفكري الذي ينال من حصن المسلمين العقيدي والفكري، فخطط لهذا، وأقيمت مؤسسات تبشيرية كثيرة، وانفذت (البعثات) و(الارساليات) و(الحملات) المختلفة تحت شعارات متعددة إلى ديار المسلمين، وتوجهت إلى ميدانين هامين، ميدان الصحة وميدان التعليم، وكرست الأموال والجهود في سبيل ذلك.. وأدرك بعض المسلمين الأخطار المحدقة بهذه الأمة فنبهوا إلى ذلك منذ أكثر من قرن، ولا يزال التبشير والغزو الفكري قائمين على قدم وساق، ظاهراً وباطناً في أكثر بلاد المسلمين، يفيدان من معطيات الحضارة، ويستغلان الوسائل المختلفة في جميع ميادين الحياة(١) ـ وإن كان للوعي الإسلامي أثره الكبير في بيان هذا

(١) انظر كتاب الغارة على العالم الإسلامي لـ(١. ل. شاتليه) تلخيص وترجمة مساعد اليافي ومحب الدين الخطيب، وكتاب التبشير والاستعمار في البلاد العربية للدكتور مصطفى الخالدي والدكتور عمر فروخ، معلمة الإسلام (التربية والتعليم لأنور الجندي..).

النشاط الهدام، والكشف عن مخططاته، وتحذير الأمة من شباكهما وشراكهما . .

جـ ـ لكل ما سبق يستحسن عدم إطلاق لفظ (التبشير) على أمور الدعوة إلى الله تعالى لما بين السبيلين من افتراق واختلاف كبير، لا يقل عن الاختلاف بين مقصديهما بل يزيد عليه، وشتان بين الحق والباطل، والنور والظلام .

ولا نشك في أن الدكتور حمزة لم يقصد المعنى الممجوج والمكروه، ولا ما انتهت إليه دلالة ذلك اللفظ، إنما أراد به سمة الدعوة من تبشير وعدم تنفير. لذا لم يكن بد من الاشارة إلى هذا حتى لا يتبادر إلى ذهن القارىء شيء من تلك المفاهيم المحيطة به لذلك اللفظ في هذا العصر.

د ـ والدعاية تختلف عن الدعوة، فالدعاية تقوم على (علم صنع التأثير في الآخرين) وتعتمد على أمور نفسية، واجتماعية واقتصادية وسياسية، وتستغل جميع الوسائل لتحقيق ما تكون الدعاية من أجله، بغض الطرف عن حقيقته، فقد تتعمد وسائل الدعاية إخفاء حقيقة لظروف خاصة تتعلق بالمكان أو الزمان، أو تتعمد التهويل أو التشويه مما يحقق الترويج لما تريد، والوصول إلى الهدف الدعائي المطلوب، بخلاف الدعوة إلى الله عز وجل التي لا تقوم إلى على وسيلة مشروعة، وتتفيئ الحق وتجانب الباطل، حق في طبيعتها، موضوعية في عرضها، سامية في غايتها، إنسانية في شمولها وعمقها. وما خصائص الإعلام الإسلامي الذي عرضنا له في الفصل الأول من الباب الأول من هذا الكتاب إلا وجه من وجوه الدعوة وصورة من صورها.

وما أبلغ قوله سبحانه وتعالى: ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن، إن ربك هو أعلم بمن ضَلَّ عن سبيله

وهـو أعلمُ بالمهتدين﴾(١). وما أبلغ دلالاته، إنها دعوة للإيمان بالله سبحانه وتعالى وهي عامة شاملة، لأن «سبيل ربك» غير مقيد ، ولا مخصص فهو مطلق عام يتناول دعوة الناس إلى الايمان بالله عز وجل، ودعوتهم إلى العقيدة الصحيحـة، كما يتنـاول الحث على أداء الـطاعـات، والتمسك بالأخلاق الفـاضلة، والتـأسي بالنبي ﷺ كما يتناول دعوة الناس إلى الشعور بكرامة الإنسانية يقول الاستاذ الشيخ أبو الحسن الندوي: و«سبيل ربك» يحوي كل شيء، إنه يمتد ويسع الآفاق، ليست هذه الآفاق فقط، إنها آفاق الأديان السماوية، وآفاق الحاجات البشرية والحياة الإنسانية، فاستحضروا الاعجاز الكامل في قوله تعالى ﴿ادع﴾ وهو لا يختص بالخطابة، ولا يختص بالكتابة، ولا يختص بالوعظ والنصيحة، إنما قال: ﴿ادع﴾ والدعوة عامة تشمل هذه المعـاني كلها، وهذه الأساليب كلها ثم قال ﴿إلى سبيل ربك﴾ وأي كلمة أوسعُ أفقا، وأعظم إطلاقاً من قوله تعالى: ﴿سبيل ربك﴾.

إن الحكمة ـ الكلمة البليغة العربية التي جاءت في الآية ـ لا أعتقد أنه من الممكن ترجمتها أو نقلها إلى لغة أخرى، وكذلك «الموعظة» كلمة مطلقة، و«الحسنة» أيضاً كلمة مطلقة، وهنا جاء القرآن يحل هذه المشكلة، فأطلق وقيد، وأوجـز وأعجـز، فقـال: ﴿ادع إلى سبيل ربـك بالحكمـة والموعظة الحسنة﴾ الآية. وقد جاءت هذه الآية في سياق الآيات التي تتحدث عن أكبر داع من الأنبياء قبل الرسول ﷺ. وهو سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وقـال: ﴿إن إبراهيم كان أمة قانتاً لله حنيفاً، ولم يكُ من المشركين شاكراً لأنعمه اجتباه وهداه إلى صراط مستقيم، وآتيناه في الدنيا حسنة، وإنه في الآخرة لمن الصالحين، ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم، وما كان من

---

(١) [١٢٥ : النحل].

المشركين﴾[1])[2].

وما أبلغ قوله سبحانه وتعالى: ﴿قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرةٍ أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين﴾[3] خطاب من الله تعالى للنبي ﷺ بأن يعلن: هذه دعوتي بينة واضحة إلى الله عز وجل وهي سنتي وطريقتي ومسلكي، أدعو بها على بصيرة، من ذلك ويقين وبرهان، على هدى وحجة واضحة، يتميز بها الحق من الباطل، إنها سبيلي وسبيل من اتبعني واهتــدى بهديي، وأنـزه الله عز وجـل وأجله وأعـظمـه عن أن يكـون له شريك..[4] فشتان بين الدعوة والدعاية..!!.

ثانيـا ـ لم يكن الإسلام ثورة بالمعنى السائد، ولم تكن له شعارات براقة، تخالف مضامينه، بل له عقيدته وأسسه وغاياته بينة واضحة.

ذكر الاستاذ الدكتور عبداللطيف حمزة بعض أحاديث الجهاد ثم قال:
(تناول النص السابق ثلاث نقاط أساسية وهي:
أ ـ وصف الإسلام بالثورة.
ب ـ أثر الشعارات في الايحاء واعتهاد زعماء الثورات عليها في اذكاء شعور الجماهير، وفي سرعة اعتناقهم للدعوة الجديدة.
ج ـ أن كل مذهب إسلامي أو كل نظام كان يحاول أن يدعم وجوده بقوة الأحاديث النبوية)[5].

---

(١) سورة النحل: ١٢١.
(٢) روائع من أدب الدعوة في القرآن والسنة ص١٤ـ١٥.
(٣) [يوسف: ١٠٨].
(٤) انظر فتح القدير ص ٥٩ـ٦٠ ج٣، ومختصر تفسير ابن كثير ص٢٦٥ ج٢.
(٥) الإعلام ص٥٩.

أـ أما الفكرة الأولى وهي وصف الإسلام بالثورة فأكتفي بما ذكره فضيلة الدكتور عبدالحليم محمود شيخ الجامع الأزهر رحمه الله في تقريظه للكتاب في مقدمته، إذ قال: (وإذا كانت كلمة «ثورة» قد وصف بها الإسلام في الكتاب فإنه من الطبيعي ألا يقصد منها المعنى المتبادر والشائع من أنها ظاهرة ذاتية لفرد من الأفراد، انفعل انفعالاً خاصاً بواقع يعيشه في مجتمع ما أدى به إلى حمل تبعة التغيير، وإنما المقصود بالكلمة هدفها وغايتها، وهو التغيير وتعديلُ الأوضاع على النحو المستقيم)[1]. ومن المعروف أن دعوة الرسول ﷺ في مكة المكرمة استغرقت ثلاثة عشر عاماً، ينتزع ـ خلالها ـ من النفوس العقائد الفاسدة ويثبت فيها عقيدة التوحيد، ثم هاجر إلى المدينة بعقيدته، وهاجر المسلمون ليتنسموا حرية العقيدة في منبت طيب مع إخوانهم الأنصار في المدينة المنورة، حتى تمكنوا فيما بعد من تحرير النفوس من العبودية لغير الله عز وجل، فكان الإسلام ـ ولا يزال ـ دعوة إلى الإيمان بالله عز وجل، من أجل إقامة حكم الله تعالى، بين عباد الله على أرض الله عز وجل، ولا يتخذ الناس بعضهم بعضاً أرباباً من دون الله.

إنه إيمان لا يقوم على قسر أو قهر، مما هو معروف في سمات أكثر ثورات هذا العصر، إنه تغيير يبدأ بالفرد من الناحية العقلية والوجدانية والسلوكية، لينتهي إلى المجتمع بعيداً عن أي لون من ألوان العنف والقسوة، التي يعامل بها المخالفون للحركات الثورية المعاصرة أو غير المؤيدين لها، مما يندى له جبين الإنسانية، وتتفطر له القلوب، لبشاعة تلك المآسي المادية والأدبية، التي لا تمت إلى التغيير الإسلامي، بحال من الأحوال، ولا تلتقي به من قريب أو بعيد، حتى صار من المعروف تاريخياً أن «الثورة تأكل أبناءها»، والواقع

---

(١) الإعلام في صدر الإسلام ص٥.

يصدق ذلك ويؤكده، ولم يحدث شيء من هذا في صدر الإسلام.

ب - وأقول فيما ورد في الفقرة (ب): إنه لا شك في أن للشعارات آثاراً بعيدة في الايحاء ودوراً كبيراً في تحريك الجماهير وتوجيههم، وتأجيج حماسهم وغير ذلك من مظاهر متعددة.. ويفيد من هذا الجانب أكثر المؤسسات العامة والخاصة، والتجارية والاقتصادية والاجتماعية والرياضية، والمنظمات المحلية والدولية، والتنظيمات الشعبية والنقابية المختلفة، لأن الشعارات لون من ألوان الدعاية، التي تقوم على (علم صنع التأثير في الآخرين) وتعتمد على الجوانب النفسية (الوجدانية)، والاجتماعية والاقتصادية والسياسية على حسب الغرض المدعو له، لما للدعاية من آثار بعيدة في الايحاء وتحريك العواطف، فأمر طبيعي أن يعتمد زعماء الثورات على الشعارات في إذكاء شعور الجماهير من أجل اعتناق أفكارهم الجديدة والدعوة إليها..

لكن شيئاً من هذا لم يقع في صدر الإسلام، ذلك لأن الإسلام لم يكن مصدره من مصلح، كما لم يكن وليد حاجة المجتمع الذي أنزل فيه، كما لم يكن تعبيراً عن فكرة تمثلتها الجماهير، فكانت أساس التغيير الشامل الذي شهدته الجزيرة العربية آنذاك، ثم طالع الإنسانية.. وخفقت راياته في أقل من قرن فوق نصف المعمورة، إنه دين الله عز وجل الذي ارتضاه لعباده، واختار له من خلقه محمداً ﷺ رسولاً أميناً ﴿ياأيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً. وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً. وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلاً كبيراً. ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم وتوكل على الله، وكفى بالله وكيلا﴾[1].

ومعلوم من سيرته ﷺ أنه وقف حياته للدعوة، ولقي ما لقي من عناد

---

(١) [الأحزاب ٤٥-٤٨].

المشركين وأذاهم ـ في الفترة المكية قبل الهجرة ـ مما لا يخفى على أحد، وناصبه العداء أكثر عشيرته وقومه منذ الأيام الأولى لبعثته ﷺ، إلى جانب المحاولات المختلفة، ترغيباً وترهيباً، واغراءً وتهديداً ـ لثنيه عن دعوته مما لا يصدق عليه مفهوم الثورة ولا سبلها. . وما كان منه ﷺ إلا الثبات والصبر، ومضي العزيمة حتى أينعت ثمرات الدعوة، ودخل الناسُ في دين الله أفواجاً، إيماناً وتصديقاً بتلك المبادىء الثابتة، والقيم العظيمة، التي غيرت المجتمع آنذاك، لا بقوة الايحاء، بل بقوة العقيدة، ولا ببريق الشعارات، بل بالصبر والثبات، ووضوح السبيل، وجلاء الحق والحقيقة.

جـ ـ وأما أن كل مذهب إسلامي أو نظام اعتمد في تثبيت دعواه وتأييدها على الأحاديث النبوية، فأخذ منها ما يتفق وفكرته. فالجواب عن هذا في نقطتين:

الأولى منها: أن المذاهب الفكرية والفقهية، لم تظهر قط إلا في القرن الهجري الثاني، ولم تتبلور إلا في مطلع القرن الثالث.

وأما بذور المذاهب السياسية ـ وإن كانت قد ألقيت في تربة الفتنة وأشطأت بعد استشهاد عثمان رضي الله عنه ـ فإنها لم تقو ولم تشتد إلا بعد منتصف القرن الهجري الأول، بل في أواخره ومطلع القرن الهجري الثاني، لأن الأمر استتب، واجتمعت كلمة الأمة في عام الجماعة على معاوية رضي الله عنه، حين تنازل الحسن بن علي رضي الله عنهما عن الخلافة لمعاوية بن أبي سفيان، مصداقاً لقول الرسول ﷺ في سبطه الحسن وكان معه على المنبر: «ابني هذا سيدٌ، ولعل الله أن يُصْلِحَ به بين فئتين من المسلمين»[1]. وصفا جو القرن الأول اللهم إلا من بعض الفتن التي تلاشت. فاعتماد أصحاب المذاهب السياسية على الحديث لدعم اتجاهاتهم، ووضعه كذباً على الرسول

(١) فتح الباري باب مناقب الحسن والحسين رضي الله عنهما ص٩٦ ج٨.

ﷺ أمر مستحيل، فلا يعقل أن يرضاه أصحاب الرسول ﷺ، ولا يمكن أن يقدموا عليه، وإن وضع شيء في نصرة مذهب سياسي فإنما من الأتباع الجهال فيما بعد كما فصلنا القول فيه وبيناه في الفصل الأول من الباب الثاني من هذا الكتاب، وكل هذا لا يتصل بصدر الإسلام، ذلك لأن من المعروف تاريخياً أن المراد بصدر الإسلام عهد الرسول ﷺ، بدلالة قول المؤرخين (حوادث صدر الإسلام) أو (أخبار صدر الإسلام والخلافة الراشدة)، ونحو هذا، وهو الموافق للمدلول اللغوي لكلمة (صدر) فصدر كل شيء أوله. قال الأعشى:
كما شرَقَتْ صَدْرُ القناةِ من الدَّم فصدر الإسلام هو عهد الرسول ﷺ، إن لم يكن أول عهده، وقد يتجاوز بعضهم هذا مجازاً فيقصد بصدر الإسلام عصر الرسول ﷺ وعهد الخلفاء الراشدين، وقلما يطلق صدر الإسلام على خلافة بني أمية، بل إن المؤرخين القدامى يقيدون الحقبة التي يؤرخون لها باسم صاحبها، نحو (خلافة معاوية) أو (أخبار معاوية) و(خلافة يزيد) و(خلافة مروان بن الحكم) و(خلافة عبدالملك). . والمحدثون من المؤرخين وكتاب التاريخ يقولون: (الخلافة الأموية) و(الخلافة العباسية)، أو (حكم بني أمية) ونحو هذا، فإذا التزمنا بالاصطلاح التاريخي تبين لنا أن ما أشار إليه المؤلف لم يكن له وجود في صدر الإسلام.

وأما النقطة الثانية: فإن اعتماد أصحاب المذاهب على الحديث النبوي لدعم مذاهبهم أمر طبيعي، لأن الحديث هو المصدر التشريعي الثاني في الإسلام، والمجتمع إسلامي، وظهور فكرة أو مذهب في وسط إسلامي لا بد له من مؤيد شرعي، وهو الأصل، وخلاف الأصل أن يدعا إلى فكرة لا تستند إلى دليل من القرآن أو السنة، أو الاجماع أو القياس مصادر التشريع الأصلية، وغيرها من المصادر التشريعية (التبعية) الفرعية، التي فصل القول فيها علماء أصول الفقه.

والكلام في اعتماد بعض تلك المذاهب على الحديث، والوضع فيه بما يدعم وجودها، فإذا كانت تلك المذاهب لم تظهر بعدُ في تلك الحقبة فإن دواعي الوضع وأسبابه لا وجود لها آنذاك وبخاصة في صدر الإسلام فما معنى اقحام هذا الموضوع في بحث (الإعلام في صدر الإسلام)؟ وقد تبين لنا مما عرضناه سابقاً تحت عنوان (ظاهرة الوضع وأسبابه) أن المذاهب الفقهية والكلامية والفكرية لم تظهر إلا بعد القرن الهجري الأول، ولم يصر لها أتباعٌ يذكرون إلا بعد قرنين أو ثلاثة، وكل هذا بعد زمن طويل من صدر الإسلام الذي تناوله الكاتب بالبحث.

ثالثا ـ هل استغلت الدولة في صدر الإسلام الحديث النبوي في دعايتها السياسية؟ :

قال الاستاذ الدكتور عبداللطيف حمزة: (ولنستطرد قليلاً فنقول: إنه من أبرز الأدلة التاريخية على استغلال الأحاديث النبوية ما قامت به الخلافة الأموية، ثم الخلافة العباسية، ثم الخلافة الفاطمية، من الاعتماد في دعايتها السياسية على هذه المادة.

وسنكتفي هنا بضرب المثل بما فعلته الخلافة الأموية وبما قامت به هذه الدولة من الدعاية القوية ضد الامام علي بن أبي طالب. فقد روت لنا بعض الكتب الأدبية أن الدولة الأموية عمدت إلى تحريف الأحاديث أو إلى اختلاقها وإسنادها إلى رواة ثقات حتى يصدقها الناس فور سماعها مسندة إلى أولئك الرواة.

ومن هذه الأحاديث التي يشتم منها أنها موضوعة لغرض من الأغراض حديث فيه طعن ظاهر على الإمام علي بن أبي طالب: (روى عن عروة بن الزبير أنه قال: حدثتني عائشة أم المؤمنين أنها قالت: كنت عند رسول الله

ﷺ إذ أقبل العباسي، وعلي فقال النبي ﷺ يا عائشة إن هذين (يشير إليهما) «يموتان على غير ملتي». (عن كتاب منهج البلاغة لابن أبي الحديد ح١ ص٥٨).

وأغرب من هذا وذاك أن في هذه الكتب رواية عن معاية بن أبي سفيان تقول إن معاوية بذل لسمرة بن جندب مائة ألف درهم ليقرأ الآية الكريمة:

﴿ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا، ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام. وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل، والله لا يحب الفساد﴾ وأمره معاوية أن يقول إنها نزلت في علي (شرح منهج البلاغة ص ٣٥٨) - ثم أمره معاوية بعد ذلك أن يقرأ الآية.

﴿ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله﴾ ويقول إنها نزلت في عبدالرحمن بن ملجم قاتل علي، ولكن الفقيه سمرة بن جندب لم يقبل ذلك. فبذل له معاوية مائتي ألف درهم فلم يقبل، فبذل له معاوية أربعمائة ألف درهم[1]. ويتابع الدكتور عبداللطيف حمزة قائلا: فقيل. (وكان لكل شرف نقطة انصهار - كما يقول الإنجليز - ودرجة الانصهار عند هذا الفقيه وصلت إلى هذا الرقم، ومن حق المؤرخ أن يشك في هذه الروايات وأمثالها - مما نسجه الخيال حول معاوية ولكنها في نظر رجل الإعلام والدعاية لا تخلو مطلقاً من دلالة. وهي أن رجال السياسة في تلك العصور كانوا يلجؤون إلى طرق كثيرة لكسب الجماهير إلى جانبهم، ومن هذه الطرق تفسير القرآن تفسيراً يناصر دعوتهم.

ومن هذه الطرق أيضاً تحريف الأحاديث أو اختلاقها بحيث تدخل في

(١) الإعلام في صدر الإسلام للدكتور عبداللطيف حمزة ص٦١.

روع الجماهير أن القادة أو الساسة على حق وأن خصومهم على باطل وهنا يظهر الفرق واضحاً بين الدعاية البيضاء والدعاية السوداء.

فالدعاية البيضاء تقوم على أهداف شريفة وتستعين على غايتها بالأحاديث الصحيحة.

أما الدعاية السوداء فإنها تبيح لنفسها تحريف الأحاديث واختلاقها وتفسير الصحيح على الوجه الذي قيلت فيه.

وقد كان معاوية يحس إحساساً قوياً بحاجة إلى تثبيت ملكه وتأييد سلطانه والدفاع عن هذا السلطان ضد هذه الشخصية الرهيبة التي لا يمكن التغلب عليها بالطرق المستقيمة وهي شخصية علي بن أبي طالب[1].)

مما سبق يتبين لنا ما يأتي:

أولاً - أن الدكتور عبداللطيف حمزة اعتمد في اثبات استغلال الدولة الأحاديث النبوية في دعايتها السياسية على ما روته (بعض الكتب الأدبية أن الدولة الأموية عمدت إلى تحريف الأحاديث أو إلى اختلاقها.). ومن بدهيات البحث العلمي الاعتماد على المصادر الأصيلة للموضوع، ومصادر التاريخ معروفة، وهي غير الكتب الأدبية. ولو سلمنا جدلاً أن كتب الأدب قد تكون مصادر تبعية في بعض البحوث التاريخية، فنقول: إن ما أراد أن يستشهد له لا يدخل في صدر الإسلام، وقد سبق أن بينت هذا قبل صفحات.

ومهما يكن الأمر فإن الحديث المذكور حديث موضوع نص أهل العلم على وضعه وعرفته العامة والخاصة، حتى إن الاستاذ الدكتور عبداللطيف قدم للحديث بقوله: (ومن هذه الأحاديث التي يشتم منها أنها موضوعة..)

---

(١) الإعلام في صدر الإسلام ص٦٢.

وما دام الأمر كذلك فلا داعي للاستشهاد به.

ثانياـ وما قلناه في المقطع الأول من النص يقال فيما ذكره حول معاوية ابن أبي سفيان وسمرة بن جندب رضي الله عنهما، وقد قدم لتلك القصة بقوله: (واغرب من هذا وذاك. .) وعقب عليها بقوله: (ومن حق المؤرخ أن يشك في هذه الروايات وأمثالها ـ مما نسجه الخيال حول معاوية.). ومع كل هذا فقد استشهد بها، ولذا لا بد من مناقشة ما ذكره بإيجاز بالغ فيما يلي:

١ ـ لِـمَ يغر معاوية بن أبي سفيان سمرة رضي الله عنه ببذل مائة ألف درهم حتى يبلغ أربعمائة ألف درهم؟ إن كان هذا الاغراء قبل (صفين) فلا محل له، لأن الفصل آنذاك للقوة، وإن كان بعدها فلا محل له لأنه لم يلبث أن استشهد الإمام علي رضي الله عنه، ثم كان عام الجماعة هذا إذا سلمنا بصحة ذاك الخبر، وهو خبر موضوع[1].

٢ ـ ومعاوية رضي الله عنه صحابي لا يمكن أن يقدم على شيء من هذا بل ثبت عنه خلاف هذا، أخرج الحاكم عن أبي عامر عبدالله بن لحي قال: (حججنا مع معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، فلما قدمنا مكة أُخبر بقاصٍ يقص على أهل مكة، مولى لنبي فروخ، فأرسل إليه، فقال: أمرتَ بهذا القصص؟ قال: لا. قال: فما حملك على أن تقص بغير إذن!؟ قال معاوية لو كنتُ تقدمتُ إليك لقطعتُ منكَ طائفةً ، ثم قام حين صلى الظهر بمكة فقال: (قال النبي ﷺ: «إن أهل الكتاب تفرّقوا في دينهم على ثنتين وسبعين ملة، وتفترق هذه الأمة على ثلاثٍ وسبعين، كلها في النار إلا واحدة، وهي الجماعة، ويخرج في أمتي أقوامٌ تتجارى بهم تلك الأهواء، كما يتجارى الكلبُ بصاحبه، فلا يبقى منه عرقٌ ولا مفصلٌ إلا

---

(١) انظر قول ابن أبي الحديد شرح نهج البلاغة ص١٥٨-١٥٩ ج١.

دخله» . والله يا معشر العربِ لئن لم تقوموا بها جاء به محمد ﷺ لغير ذلك أحرى بأن لا تقوموا به)[1] .

ولا بد من التذكير بأن معاوية وسمرة صحابيان وعلى أي باحث أن يكون على مزيد احتياط واستيثاق لأخبار الصحابة وأحوالهم، فقد قال النبي ﷺ : «اللهَ اللهَ في أصحابي، لا تتخذوهم غرضاً بعدي فمن أحبهم فبحبي أحبهم، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم ومن آذاهم فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله يوشك أن يأخذه»[2] .

٣ ـ قال: (ومن حق المؤرخ أن يشك في هذه الروايات وأمثالها ـ مما نسجه الخيال حول معاوية، ولكنها في نظر رجل الإعلام والدعاية لا تخلو مطلقاً من دلالة، وهي أن رجال السياسة في تلك العصور كانوا يلجؤون إلى طرق كثيرة لكسب الجماهير، ومن هذه الطرق تفسير القرآن تفسيراً يناصر دعوتهم. ومن هذه الطرق أيضاً تحريف الأحاديث أو اختلاقها . .) كان من الواجب أن يتحرى الكاتب، ويستوثق لما ينقل فإن ثبت له بطلان ما ذكر جزم به ونفى استغلال الدولة لتفسير القرآن والحديث بما يناصر دعوتها، وإن ثبتت صحة ما استشهد به دعمه بالمصادر وبنى عليه ما ينتهي إليه البحث العلمي، أما مع رجحان بطلان ما نقل، أن يكون لها في نظر (رجل الإعلام والدعاية دلالة أن رجال السياسة في تلك العصور. . .)

فرجل الإعلام لا يختلف عمن يعمل في حقل التاريخ، من حيث

(١) المستدرك ص١٢٨ ج١ . ووافقه الذهبي وانظر تحذير الخواص من أكاذيب القصاص ص ١٧٤-١٧٥ .

(٢) أخرجه الإمام أحمد والبخاري في التاريخ والترمذي وأبو نعيم في الحلية والبيهقي في شعب الإيمان. الجامع الكبير ص ٣٧٦ ج١ .

وجـوب الاستيثـاق لما يُعْلِمُ به ويقفُ عليه، وإلا لشـاعت الأكـاذيب وشوهت الحقائق وعلا الباطل على الحق. وهذا لا يقول به أحد. ورجل الإعلام أسمى من أن يبني نظرية على الاشاعات الكاذبة، والدعايات الباطلة.. مما يتناقض مع قدسية مهمته، وسمو مقاصده.

رابعاً ـ هل اشترى أولو الأمر ضمائر الفقهاء واستعبدوهم لأغراضهم!؟

ثم يقول الدكتور عبداللطيف: (فنحن وإن كنا لا نميل إلى تصديق الروايات التي نقلناها عن ابن أبي الحديد فإننا نضع في اعتبارنا معنى لا مفر منـه هو كراهية الشيعـة لمعاوية بن أبي سفيان، ومن الجائز أن تكون هذه الكراهية هي التي حملتهم على نسبة هذه التصرفات إلى معاوية.

مهـما يكن من شيء فإنـه إذا صحت هذه الروايات فإنها تذكر رجل الإعلام والدعاية بالمساومات التي تحدث أحياناً بين بعض أصحاب الصحف من جهة وكبار المعلنين والساسة المغرضين من جهة ثانية.

فإذا جاء أحد من الساسة أو الرأسماليين وعرض على صاحب جريدة من الجرائد مائة جنيه لكي يتنازل عن نشر مقال من المقالات التي تحارب سياسته أو تضر برأسماله فإنه لا يقبل هذا المبلغ. فإذا عرض عليه السياسي أو المعلن مائتـين فإنـه لا يقبـل أيضاً وتمضي المساومة بينهما حتى يعرض السياسي أو صاحب رأس المال مبلغاً يقرب من ألف جنيه فإن صاحب الجريدة في هذه الحالة قد يقبل. وهذا هو سلطان رأس المال على الصحافة. **وبهذه الطريقة كان الملوك والسـلاطـين والخلفـاء في بعض عصور الإسلام يتغلبون على الفقهـاء وهم الـذين يمثلون الـرأي العـام الإسـلامي يستعبدونهم بالمادة ويشترون ضمائرهم بالمال ويستخدمونهم لتحقيق أغراضهم بمثل هذه الطرق.**

إن الفقهاء في تلك العصور الماضية كانوا كالصحفيين في الوقت الحاضر، منهم من كان له ضمير حي وخوف صحيح من الله ورعاية تامة لصالح الرعية وشجاعة نادرة في مجابهة السلطان، ومنهم من كان رقيق الدين غير مكترث بمصالح المسلمين فهو لا يرغب في أن يقوم بالواجب الذي فرضه عليه الدين والضمير)[1].

يتلخص مما سبق ما يلي:

١ـ أن الدكتور عبداللطيف لا يميل إلى تصديق تلك الروايات، وهذا أمر جيد وبخاصة أن ابن أبي الحديد وغيره ذكروها في غرائب الموضوعات على معاوية وحزبه[2].

٢ـ ومع هذا تذكره تلك الروايات بمساومات بعض السياسيين المغرضين، وبعض المعلنين لبعض القائمين على بعض الوسائل الإعلامية (الصحافة) في العصر الحاضر.

أقول: للدكتور عبداللطيف ولغيره أن يتذكروا ما يشاؤون بموجب (تداعي الأفكار)، أما أن ينتهي تداعي الأفكار إلى بعض الأحكام الجائرة، أو المخالفة للحقائق التاريخية فهذا مما لا يتفق مع البحث العلمي، ولا يرضى به العلماء. ما أقسى ما حكم به، وما أشد وقعه على النفوس، وما أبعده عن واقع صدر الإسلام خاصة، والقرون الثلاثة الأولى عامة. فقد قال: (بهذه الطريقة ـ أي طريقة المساومات ـ كان الملوك والسلاطين والخلفاء في بعض عصور الإسلام يتغلبون على الفقهاء، وهم الذين يمثلون الرأي العام الإسلامي يستعبدونهم بالمادة، ويشترون ضمائرهم بالمال ويستخدمونهم

---

(١) ص ٦٢-٦٣ الإعلام في صدر الإسلام للدكتور عبداللطيف حمزة.

(٢) انظر شرح نهج البلاغة ص١٥٨-١٥٩ ج١.

لتحقيق أغراضهم بمثل هذه الطرق). والجواب عن هذا بايجاز بالغ يمكن أن يكون في نقطتين:

النقطة الأولى: لقد ثبت لنا من الفصل الأول من هذا الباب أنه لم يثبت عن أحد من خلفاء بني أمية أنه شجع على وضع الحديث أو طلب من أحد أن يضع له حديثاً لترويج سياسته أو تأييد أغراضه وسأذكر بعض ما روى في هذا فيما يلي:

١- روي عن أبي أنس الحراني أنه قال: قال المختار الثقفي -أحد الخارجين على بني أمية- لرجل من أصحاب الحديث: ضع لي حديثاً عن النبي ﷺ أنه كائن بعده خليفة مطالباً له بعترة ولده، وهذه عشرة آلاف درهم وخلعة ومركوب وخادم. فقال له الرجل: أما عن النبي ﷺ فلا، ولكن اختر من شئت من الصحابة، وحطّ لي من الثمن ما شئت، قال عن النبي ﷺ أوكد، والعذاب عليه أشد[1] فلم يسم أحد أصحاب الحديث، ولم يضع له شيئاً، هذا إذا صح الخبر!.

٢- اتهم المستشرق جولد تسيهر عبدالملك بن مروان بحمل الزهري على وضع الحديث فقال: (إن عبدالملك بن مروان منع الناس من الحج أيام فتنة ابن الزبير، وبنى قبة الصخرة في المسجد الأقصى ليحج الناس إليها ويطوفون حولها بدلاً من الكعبة، ثم أراد أن يحمل الناس على الحج إليها بعقيدة دينية، فوجد في الزهري -وهو ذائع الصيت في الأمة الإسلامية- مستعداً لأن يضع له أحاديث في ذلك، فوضع أحاديث، منها حديث: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجدي هذا، والمسجد الحرام، والمسجد الأقصى». ومنها حديث: «الصلاة في المسجد الأقصى تعدل ألف صلاة

(١) اللآلىء المصنوعة ص٢٤٨ ج٢.

فيها سواه» وأمثال هذين الحديثين. والدليل على أن الزهري هو واضع هذه الأحاديث أنه كان صديقاً لعبد الملك، وكان يتردد عليه، وأن الأحاديث التي وردت في فضائل بيت المقدس مروية من طريق الزهري فقط[1].

سنعرض هذا الخبر على الحقائق التاريخية ونناقشه، ليظهر لنا وجه الحق من الباطل، وتتجلى لنا من هذا الخبر الأمور الآتية:

١ـ منع عبدالملك أهل الشام من الحج.
٢ـ بنى عبدالملك قبة الصخرة في المسجد الأقصى ليحج الناس إليها بدلا من الكعبة.
٣ـ حاول حمل الناس على ذلك، بوضع أحاديث من قبل الزهري المحدث المعروف في الأوساط الإسلامية.
٤ـ الدليل على أن الزهري هو واضع هذه الأحاديث أنه كان صديقا لعبدالملك، وأنه كان يتردد عليه، وأن الأحاديث التي وردت في فضائل بيت المقدس مروية من طريق الزهري فقط.

١ـ أما أن يمنع عبدالملك أهل الشام من الحج فغير معقول، لأن الحج فريضة على كل مسلم قادر، فكيف يعطل عبدالملك شعائر الله، ويمنع إقامتها، وقد عرف بالعبادة والصلاح. حتى عُدَّ من فقهاء المدينة، قال أبو الزناد: (كان فقهاء المدينة أربعة سعيد بن المسيب، وعروة بن الزبير، وقبيصة ابن ذؤيب، وعبدالملك بن مروان)[2]. وقال نافع: (لقد رأيت عبدالملك بن مروان وما بالمدينة شاب أشد تشميراً ولا أطلب للعلم منه)[3]، ولا يعقل أن

---

(١) عن كتاب السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي ص٣٦٩، وانظر كتابنا السنة قبل التدوين ص٥٠٣.
(٢) الكامل ص١٠٣-١٠٤ ج٤.
(٣) طبقات ابن سعد ص١٧٤ ج٥.

يمنع عبدالملك أهل الشام من الحج، وفيهم أئمة التابعين، ويسكتون عنه فلا ينكرون عليه أو يشقون عصا الطاعة. وهناك ما يثبت أن عبدالملك لم يمنع أهل الشام من الحج، فقد ورد في الطبري: (وفي هذه السنة ـ (سنة ٦٨) ـ وافت عرفات أربعة ألوية، قال محمد بن عمر حدثني شرحبيل بن أبي عون عن أبيه قال: وقَفَتْ في سنة (٦٨) بعرفات أربعة ألوية: ابن الحنفية في أصحابه في لواء.. وابن الزبير في لواء.. ونجدة الحروري خلفهما، ولواء بني أمية عن يسارهما)[1].

٢ـ لم تذكر المصادر الإسلامية أن عبدالملك هو الذي بنى قبة الصخرة، بل ذكرت ابنه الوليد[2]، ويقول الدكتور السباعي: (ولم نجدهم ذكروا ولو رواية واحدة نسبة بنائها إلى عبدالملك، ولا شك أن بناءها ـ كما يزعم جولد تسيهر ـ لتكون بمثابة الكعبة يحج الناس إليها بدلا من الكعبة ـ حادث من أكبر الحوادث وأهمها في تاريخ الإسلام والمسلمين، فلا يعقل أن يمر عليه هؤلاء المؤرخون مر الكرام، وقد جرت عاداتهم أن يدوّنوا ما هو أقل من ذلك خطرا أو أهمية، كتدوينهم وفاة العلماء. وتولي القضاة، وغير ذلك، فلو كان عبدالملك هو الذي بناها لذكروها، ولكنا نراهم ذكروا بناءها في تاريخ الوليد، وهؤلاء مؤرخون أثبات في كتابة التاريخ، نعم جاء في كتاب الحيوان للدميري نقلا عن ابن خلكان: أن عبدالملك هو الذي بنى القبة وعبارته هكذا «بناها عبدالملك وكان الناس يقفون عندها يوم عرفة» ورغماً عما في نسبة بنائها لعبد الملك من ضعف، ومن مخالفته لما ذكره ائمة التاريخ، فإن هذا النص لا غبار عليه، وليس فيه ما يدل على أنه بناها ليفعل الناس ذلك، بل ظاهره أنهم كانوا يفعلون ـ هذا ـ من تلقاء أنفسهم، وليس فيه ذكر الحج

(١) تاريخ الطبري ص ٥٩٥ ج٤.

(٢) انظر الكامل لابن الأثير ص١٣٧ ج٤: والبداية والنهاية ص١٦٥ ج٩.

عند القبة بدلا من الكعبة، بل فيه الوقوف عندها يوم عرفة، وهذه العادة كانت شائعة في كثير من أمصار الإسلام، نص الفقهاء على كراهتها وفرق كبير بين الحج إليها بدلاً من الكعبة وبين الوقوف عندها تشبها بوقوف الحج في عرفة، ليشارك من لم يستطع الحج الحجاج في شيء من الأجر والثواب، ولم يكن ذلك مقصورا على قبة الصخرة، بل كان كل مصر إسلامي يخرج أهله يوم عرفة إلى ظاهر البلد فيقفون كما يقف الحجاج)(١).

ثم إن بناء عبدالملك قبة الصخرة ليحج الناس إليها بدلا من الحج إلى البيت الحرام كفر صريح لا يمكن أن يصدر عن مثله، وهو الذي عرفنا مكانته العلمية وورعه.

ومما يدل على بطلان ما ادعاه (جولد تسيهر) موقف خصوم الأمويين من عبدالملك، الذين لم يذكروا شيئاً من هذا في طعونهم له، ولو صح بعض ما ادعاه اليعقوبي و(جولد تسيهر) لكان إعلان تكفير عبدالملك والتشهير به أولَ الطعون التي توجه إليه لاجترائه ـ حسب ادعاء جولد تسيهر ـ على حرمات الله، والعبث بشعائر الإسلام.

ومما يدل على تحامل المستشرق (جولد تسيهر) على الأمويين، وعلى عبدالملك، وعلى الإمام الزهري ـ موقف غيره من المستشرقين الذين رجحوا الرأي القائل بأن عبدالملك هو الذي بنى قبة الصخرة، ولكنهم لم يذهبوا إلى ما ذهب إليه (جولد تسيهر) في ادعائه(٢) الذي افتراه على عبدالملك، وإن كان أكثرهم يعتقد سوءا في بني أمية، يقول المستشرق (يوليوس فلهوزن): «ولكي يزيد خلفاء بني أمية في رجحان كفة الشام من الناحية السياسية حاولوا فيما

(١) السنة ومكانتها. التشريع الإسلامي ص٣٩٩-٤٠٠.

(٢) انظر المغازي الأولى ومؤلفوها حيث بين المستشرق (يوسف هوروفتش) رأيه في هذا ص٥٢.

حاولوا نقل مركز الشعائر الدينية إلى الشام، وكان مما استوجب ذلك، أن ابن الزبير ظل يحتل البيت الحرام في مكة قرابة من عشر سنين، فلم يكن أهل الشام يستطيعون الحج، ما داموا على ولائهم للأسرة الأموية إلا بمشقة، وقد استغل عبدالملك ذلك لمنع رعاياه من الحج إلى مكة، وحضهم على أن يحجوا إلى بيت الله المقدس بدلا من أن يحجوا إلى مكة، وهذا ما يحكيه (أوتيخيوس) على الأقل (في كتابه التاريخ)، أما الذي لا شك فيه فهو أن عبدالملك جهد في أن يجعل لبيت المقدس ـ باعتباره مكاناً مقدساً في نظر الإسلام ـ مظهراً أروع مما كان له، وذلك أن الدليل على صدق الرواية القائلة بأنه هو الذي بنى قبة الصخرة موجود في النقش الذي لا يزال باقيا في الجزء القديم من هذا البناء، أما النقش الحالي فيذكر فيه اسم المأمون الخليفة العباسي، على أنه هو الباني، ولكن (دي فوجى) اكتشف أن اسم المأمون إنما أدخل في النقش الأصلي من طريق تصحيح لكتابة سابقة، وقد فات على المصححين أن يصححوا التاريخ القديم الذي يبين السنة التي كان فيها البناء، ويمكن على هذا أن يكون النص الأصلي على القطع هكذا: بنى هذه القبة في سنة ٧٢هـ عبدالله عبدالملك أمير المؤمنين»[١].

وفرق كبير بين أن يعتني عبدالملك ببيت المقدس، ويطهره ويجعل له مظهراً أروع مما كان له ـ وبين أن يجعله كعبة المسلمين، وهذا ما اعترف به (فلهوزن) وعقب به على رأي (اوتيخيوس) الذي يتفق مع رأي جولد تسيهر.

فلو صح نسبة بناء القبة إلى عبدالملك ـ وهو رأي يخالف المصادر الإسلامية الموثوق بها ومبني على مجرد التخمين والاستنتاج ـ لكان قد بناه واعتنى بالمسجد الأقصى لمكانته عند المسلمين، وهو أقدس الأماكن التي كانت تقع تحت سلطان عبدالملك آنذاك.

(١) تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية ص٢٠٦ـ٢٠٧.

ومما يؤكد لنا أنه لم يحمل أحداً على الحج إليه، بل كان عمله مجرد احترام لذلك المسجد ـ ما قام به بعد انتصاره على ابن الزبير سنة (٧٣هـ) حين أمر بإعادة بناء الكعبة كما كانت عليه في عهد الرسول ﷺ، وإزالة ما أدخله ابن الزبير في بنائها سنة (٦٤هـ)، فمن الواجب أن يفرق بين اعتنائه بالمسجد الأقصى وجعله محجا للمسلمين.

٣ـ أما أنه حاول أن يحمل الناس على الحج إلى المسجد الأقصى بمساعدة الزهري الذي وضع له الأحاديث في ذلك فغير صحيح قطعا، وسنثبت هذا من طريقين، الأولى في بيان صلة الزهري بالأمويين، والثاني استحالة هذا تاريخيا.

(١) صلة الزهري بالأمويين:

صحيح أن الزهري كان يتردد بين الحجاز والشام، وكان يدخل على خلفاء بني أمية، ولكنه لم يكن ذلك الرجل الذي يستجدي أكفهم، أو الذي يبيع دنياه بدينه، فالزهري أرفع بكثير مما يتصوره أعداء الإسلام، والزهري أسمى مما يراه اليعقوبي، و(جولد تسيهر) وغيرهما، فقد كان الإمام الزهري رجل صلاح واستقامة، يبين للخلفاء الحق مهما كان مرا، وكان يحملهم على سواء السبيل ولا يداهنهم أو يمالئهم، ومن هذا ما رواه ابن عساكر بسنده إلى الإمام الشافعي عن عمه قال: (دخل سليمان بن يسار على هشام فقال: يا سليمان، من الذي تولى كبره منهم؟ فقال له: عبدالله بن أبي بن سلول، فقال له: كذبت، هو علي بن أبي طالب، قال: أمير المؤمنين أعلم بما يقول، فدخل ابن شهاب، فقال له: من الذي تولى كبره منهم، فقال له: عبدالله بن أبي بن سلول، فقال له: كذبت، هو علي بن أبي طالب، فقال له: أنا أكذب، لا أبالك؟ فوالله لو ناداني مناد من السماء أن الله أحل الكذب ما كذبت، حدثني عروة بن الوليد وسعيد بن المسيب وعبيدالله بن عبدالله

وعلقمة بن وقاص كلهم عن عائشة أن الذي تولى كبره منهم عبدالله بن أبي.
فلم يزل القوم يغرون به، فقال له هشام ارحل: فوالله ما كان ينبغي لنا أن نحمل عن مثلك، فقال ابن شهاب ولم ذاك؟ أنا اغتصبتُك على نفسي، أو أنت اغتصبتني على نفسي؟ فخل عني، فقال له: لا، ولكنك استدنتَ ألفي ألف. فقال: قد علمتَ وأبوك قبلك أني ما استدنتُ هذا المال عليك ولا على أبيك، فقال: إنا نهيج الشيخ، فيهتم[1] الشيخ، ثم أمر[2] فقضى عنه من دينه ألف ألف، وأخبر[3] بذلك، فقال: الحمد لله «الذي هذا هو من عنده»[4].)[5].

هذا ابن شهاب، وهكذا كانت صلته بالأمويين، فهل يعقل أن يكذب على رسول الله ﷺ!! وهو الذي أبى أن يداهن الخليفة هشام بن عبدالملك، بل قال له ـ حين كانت السلطة بيده ـ (لا أبالك. فوالله لو ناداني مناد من السماء أن الله أحل الكذب ما كذبت)، ابن شهاب يخاطب أمير المؤمنين، بل يشتمه عندما يخالف الحق، وهل أقصى من عبارة (لا أبالك) وهل أجرأ من ابن شهاب بعد هذا؟ وهل نصدق ـ بعد هذا ـ دعوى أعداء الإسلام وافتراءاتهم على إمام عصره وحافظ زمانه؟.

قال الإمام الأوزاعي: (ما أدهن ابن شهاب قط لملك دخل عليه)[6] وقال أيوب: لو كنت كاتباً الحديث عن أحد كنت كاتبه عن الزهري، من رجل أحيى علم تلك البلدة، من رجل يصحب السلطان[7].

(١) في الأصل يهتم، وما أثبتناه أصوب لغة.
(٢ و٣) في الأصل (فأمر). في الأصل (فاخبر) وآثرنا تصحيحه كما أثبتناه لتستقيم العبارة.
(٤) هكذا النص.
(٥) تاريخ دمشق ص٥٩٤ـ٥٩٥ ج٣١.
(٦) تاريخ دمشق ص٥٩٣ ج٣١.
(٧) تاريخ دمشق ص٥٩٣ ج ٣١.

وأما ما روى عن يزيد بن يحيى أنه قال: (قل قليله أى رجل هو لولا أنه أفسد نفسه بصحبة الملوك)[1]، فهذا الخبر ضعيف واه لا يعتمد عليه، ففي إسناده مجهولان، وفي إسناده العباس بن الوليد بن صبيح الخلال الدمشقي، قال الآجري: (سألت أبا داود عنه فقال: كان عالما بالرجال والأخبار لا أحدث عنه)[2].

ويزيد بن يحيى بن الصباح نفسه لا يعرف، وقال أبو حاتم: ليس بالقوي[3].

فصلة الزهري بالأمويين صلة شريفة سامية، صلة العالم الصدوق الذي لا يخشى في الله لومة لائم.

ولا يرد علينا هنا أنه كان يعلم أبناء هشام بن عبدالملك، وأنه ولى القضاء ليزيد بن عبدالملك، فأي شيء يضيره في تعليم أبناء الخليفة وتهذيبهم؟ وأي شيء ينقصه إذا أدب أبناء أولي الأمر وفقههم، ونشأهم النشأة الإسلامية الصحيحة؟ إن في هذا خدمة كبيرة للإسلام، وللمسلمين حين يرضى الزهري أن يتعهد أبناء الخليفة بالعناية والرعاية والعلم، ويجنبهم اللهو والانغماس في الشهوات، فهم الذين سيتولون أمور الأمة، ويوجهون سياستها، ولكن أعداء الإسلام لا يسرهم أن يروا ابن شهاب معلما شريفاً، ومؤدباً حكيما، وقد افتخر به ابن حبيب، فذكره مع أشراف المعلمين وفقهائهم.

وأي عيب يقترفه الزهري إذا ولى القضاء، وهو الرجل الذي عرفنا

---

(١) تاريخ دمشق ص ٥٩٣ ج٣١.

(٢) ميزان الامثال ص٢٠ ترجمة ١٤٥ ج٢.

(٣) المرجع السابق ص٣١٨ ترجمة ٢٧٣٩ ج٣.

استقامته ونزاهته وعدالته.

وأي عيب يقترفه الزهري إذا ولي القضاء، وهو الرجل الذي عرفنا استقامته ونزاهته وعدالته.

هذا هو وجه الإمام الزهري في علاقته مع البيت الحاكم، وجه مشرق نير، ورأس مرفوع إلى العلياء، لم تخفضه يوما منَّة الملوك ولم تطفىء نضارته وإشراقته أياديهم عليه، وذلك سلوكه مع أمراء المؤمنين وولاتهم، لا تعتريه شائبة، ولا يتناوله شك.

كل هذا ينفي عن إمامنا تهمة وضعه الحديث، لإرضائهم ودعم ملكهم. وقد أثبت سابقا أن الأمويين لم يشجعوا الوضع[1].

(ب) استحالة ما ادعاه اليعقوبي و(جولد تسيهر) تاريخيا:

قال جولد تسيهر: (فوجد ـ عبدالملك ـ الزهري وهو ذائع الصيت في الأمة الإسلامية مستعدا لأن يضع له أحاديث في ذلك، فوضع أحاديث منها..).

هذا غير معقول، لأن ابن شهاب ولد سنة (٥٠هـ) على أرجح الأقوال. وكانت الخصومة بين ابن الزبير وعبدالملك بن مروان بين عامي (٦٥ و٧٣هـ). فإذا كان عبدالملك قد بنى قبة الصخرة ـ حسب ما ذهب إليه بعض المستشرقين ـ سنة (٧٢هـ)، فيكون عمر الزهري آنذاك (٢٢) اثنتين وعشرين سنة، ولم يكن بعد مشهورا، بل ما زال في مقتبل العمر يطلب العلم، لم يصل إلى مرتبة الشهرة في الأمة الإسلامية، وكان هناك من هو أشهر منه، من كبار التابعين، كسعيد بن المسيب، وقبيصة بن ذؤيب،

---

(١) انظر ص٤٤٥، ٤٤٦ من السنة قبل التدوين.

والقاسم بن محمد وغيرهم، لم يحاول عبدالملك أن يستغل واحدا منهم، علما بأن قبيصة بن ذؤيب كان على خاتمه، ومن كبار العلماء حوله. وابن شهاب ـ فوق هذا ـ لم يفد على عبدالملك قبل سنة ثمانين، قال الليث بن سعد: وفي سنة اثنتين وثمانين قدم ابن شهاب على عبدالملك[1]، وهي السنة التي ذكرها ابن شهاب نفسه فقال: (قدمت دمشق زمن تحرك ابن الأشعث)[2] فهل يضع الزهري الحديث بعد وفاة ابن الزبير بتسع سنين؟؟ ولو فرضنا أن الزهري وفد على عبدالملك قبل استشهاد ابن الزبير، ووضع هذا الحديث على رسول الله ﷺ ليحمل الناس على الحج إلى المسجد الأقصى ـ فهل سيصدقه الناس؟ وهل يسكت عنه صغار الصحابة وكبار التابعين في دمشق؟ بل هل يسكت عنه علماء الحجاز والأمصار الأخرى؟ وهل يعقل أن يخفى على الأمة صحة هذا الحديث، وفي الأمة العلماء الحفاظ، والجهابذة والنحارير، والنقاد الأشداء! هل يعقل أن يضع ابن شهاب حديثا يُغيّر به مناسك الحج ـ كما يزعم جولد تسيهر ـ ثم يثق به العلماء وطلاب العلم، وتزدحم عليه الجموع لتأخذ عنه كلما جاء إلى المدينة، ويتركون كبار التابعين وشيوخ الصحابة؟؟ وهل خفى على الأمة كلها جيلا بعد جيل ما اقترفه ابن شهاب، ليكتشفه اليعقوبي ويؤيده جولد تسيهر؟؟؟ أم أن كل من أخذوا عنه، وتلقوا العلم في حلقاته لا يعقلون!!!؟؟ أم أن من ابتدأ هذا الخبر مفتر ومن أيده متحامل لا يتوخى الحقيقة العلمية!!.

لو صح شيء مما افتراه هؤلاء على الزهري لصرح به النقاد، وتركوا حديثه، وحذروا طلاب العلم منه، أو على اقل تقدير يثور عليه شيخه سعيد بن المسيب الذي روى الحديث المذكور عنه، ولكن شيئا من هذا لم يكن، فظهر بطلان ما ادعوا وافتراء ما اقترفوا.

(١) انظر تاريخ دمشق ص٤٩١ ج٣١.

(٢) التاريخ الصغير ص٩٣.

٤ـ استدل جولد تسيهر على صحة ما ادعاه من أن الزهري هو الذي وضع أحاديث بيت المقدس، بأنه كان صديقاً لعبدالملك، وأنه كان يتردد عليه، وأن الأحاديث التي وردت في فضائل بيت المقدس مروية من طريق الزهري فقط، وهذا مردود تنفيه الآثار، وتدحضه الأخبار التاريخية، فالزهري عندما قدم دمشق أدخله قبيصة بن ذؤيب على عبدالملك، ليروي له (قضاء عمر في أمهات الأولاد)، فسأله عبدالملك عن نسبه، وذكره بأن أباه اشترك في الثورة مع ابن الزبير، وأمره بطلب العلم. . فلو كان صديقا لعبدالملك لا يحتاج إلى من يدخله عليه. كما لايحتاج إلى أن يسأله عن نسبه. ويوصيه بطلب العلم ثم كيف نصدق نشوء صداقة بين عبدالملك والزهري؟ إذا كان مولد عبدالملك سنة (٢٦) ست وعشرين من الهجرة، وانتقاله مع أبيه إلى الشام سنة (٦٤) أربع وستين، حين لم يجاوز الزهري آنذاك أربعة عشر عاما، فهل يعقل أن تنشأ صداقة بين رجل في الثامنة والثلاثين من عمره مع غلام في الرابعة عشرة؟ فاتفق العقل والنقل على عدم صحة قيام صداقة بين عبدالملك وابن شهاب قبل قدومه إلى دمشق.

ثم إن حديث «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد. . » روى من طرق مختلفة كثيرة غير طريق الزهري، فلم ينفرد به ابن شهاب، وروته كتب السنة كلها.

فقد أخرجه الإمام البخاري من غير طريق الزهري عن أبي الوليد عن شعبة ابن الحجاج عن عبدالملك عن قزعه مولى زياد عن أبي سعيد الخدري[1] واخرجه عن أبي هريرة.

وأخرجه مسلم من ثلاث طرق، إحداها من طريق الزهري، والثانية عن قتيبة بن سعيد وعثمان بن أبي شيبة جميعا عن جرير عن عبدالملك بن

(١) صحيح البخاري بشرح السندي ص٢٠٧ و٣٤١ ج١.

عمير، عن قزعة، عن أبي سعيد الخدري[1]، والثالثة عن هارون بن سعيد الأيلي عن ابن وهب عن عبدالحميد بن جعفر عن عمران بن أبي أنس، عن سلمان الأغر، عن أبي هريرة[2].

وأخرجه الإمام أحمد والإمام مالك. والترمذي وأبو داود والدارمي والنسائي وابن ماجة[3].

فالزهري لم ينفرد بهذا الحديث، كما زعم جولد تسيهر، ولم يضعه إرضاء لعبدالملك، بل شاركه في روايته غيره من كبار الصحابة والتابعين ومن تبعهم، فالحديث صحيح لا ريب فيه، وزعم اليعقوبي وجولد تسيهر باطل لا أصل له.

وهكذا خرج الإمام الزهري مما أحيط به من افتراءات واتهامات مرفوع الرأس، يكلله غار النصر، يتمتع بالثقة التامة عند جميع المسلمين، ورواد البحث العلمي النزيه. ويكفيه فخرا أن حفظ السنة سبعين عاما، وساهم في تدوينها ونشرها وتعليمها. وقد خلد التاريخ ذكره في مصاف العلماء العاملين، والحفاظ المتقنين.

★★★★

٣ ـ يُذكَرُ أن أبا البختري وهب بن وهب كان يضع الحديث زمن الخليفة هارون الرشيد، وأنه ولي القضاء بعسكر المهدي (شرقي بغداد)، ثم قضاء المدينة، ثم عزل عنها فعاد إلى بغداد وأقام فيها إلى أن مات. أمر أبي البختري معروف لدى أهل العلم، ولم يثبت عن الرشيد أو عن غيره أنه أغراه بالكذب على الرسول ﷺ، ومع هذا فإن الرشيد قد نهره وليس بعيداً أن يكون عزله

---

(١) صحيح مسلم ص٩٧٥-٩٧٦ حديث ٤١٥ ج٢.

(٢) المرجع السابق ص١٠١٥ حديث ٥١٣ ج٢.

(٣) انظر مفتاح كنوز السنة: مادة (المدينة) ص٤٦١.

عن القضاء بسبب كذبه[1]، ومهما يكن الأمر فإن الخلفاء لم يطلبوا منه ولا من غيره الكذب على الرسول ﷺ، وقد أسلفنا موقف الرشيد رحمه الله من بعض الكذابين. ولا بد من التوكيد على أن أمر هؤلاء المرتزقة كان معروفاً، وكان العلماء يحذرون الناس منهم. قال أبو بكر بن عياش في أبي البختري: لم يكن صاحب حديث كان كذاباً[2].

وقال عثمان بن أبي شيبة: وهب بن وهب ذاك دجال[3]. وقال إبراهيم الحربي: ما سمعت أحمد بن حنبل يقول في رجل كذاب إلا في أبي البختري[4] وقال الإمام مسلم والنسائي: متروك الحديث[5].

وقال مالك بن أنس: ما بال أقوام إذا خرجوا من المدينة يقولون حدثنا جعفر بن محمد، وحدثنا هشام بن عروة، فإذا قدموا انجحروا في البيوت!؟؟ يريد بذلك أبا البختري[6].

وكان العلماء ينكرون عليه من هذا أن يحيى بن معين وقف على حلقة أبي البختري فسمعه يحدث بحديث كذب[7]. فقال له: كذبت يا عدو الله على رسول الله ﷺ، فأخذه الشرط فذكر لهم أنه يكذب على النبي ﷺ. فقالوا: (هذا والله قاص كذاب) وتركوا الإمام يحيى رحمه الله[7]. فالخاصة

---

(1) انظر ترجمته في تاريخ بغداد ص٤٨٣ وما بعدها حـ ١٣، والأعلام للزركلي ص١٢٦ ج٨.

(٢ و٣ و٤ و٥) انظر تاريخ بغداد ص ٤٨٥ و٤٨٦ ج١٣ وميزان الاعتدال ص٢١٦-٢١٨ ج٢.

(٦) تاريخ بغداد ص٤٨٥ ج١٣.

(٧) وهو حديث أن جبريل نزل على الرسول ﷺ وعليه قباء ومنطقة مخنجر فيها بخنجر انظر تاريخ بغداد ص٤٨٤ ج١٣ قال الخطيب البغدادي لما قدم الرشيد المدينة أعظم أن يرقى منبر النبي ﷺ في قباء اسود ومنطقة، فقال أبو البختري: حدثني جعفر بن محمد عن أبيه قال: نزل جبريل الحديث.. فقال المعافى التيمي: =

والعامة عرفوا أمر مثل هؤلاء، لذا لا يعيرونهم أدنى اهتمام.

٤ـ ذكرنا في جملة أسباب وضع الحديث أن بعض ضعفاء النفوس كان يحاول التقرب من الحكام، واسترضاءهم لتحقيق أغراضهم ونيل عطاياهم، من هذا ما رواه الحاكم أبو عبدالله عن هارون بن أبي عبيد عن أبيه (أبو عبيدالله وزير المهدي) قال: (قال لي المهدي: ألا ترى ما يقول لي مقاتل؟ إن شئت وضعت لك أحاديث في العباس، قلت لا حاجة لي فيها)[١].

وسبق أن ذكرت أن المهدي قد قال في غياث بن إبراهيم حين سمع منه حديث (لاسبق) وزاد فيه (أو ذي جناح): (أشهد على قفاك أنه قفا كذاب على رسول الله ﷺ. ثم قال المهدي: أنا حملته على ذلك ثم أمر بذبح الحمام ـ الذي كان يلهو به ـ ورفض ما كان فيه[٢])

كل ما سبق يؤكد عدم تشجيع بعض المسؤولين على وضع الحديث، بل يؤكد امتناعهم عن ذلك، وانكارهم إياه، علماً بأن الأخبار التي سقتها بعد

= وَيْلٌ وعولٌ لابي البختري إذا ثوى الناسُ في المحشرِ
من قوله الزور واعلانه بالكذب في الناسِ على جعفرِ
والله ما جالسه ساعة للفقه في بدو ولا محضرِ
ولا رآه الناسُ في دهره يمر بين القبر والمنبرِ
يا قاتَلَ اللهُ ابنَ وهبٍ لقد أعلن بالزور وبالمنكرِ
يزعم أن المصطفى أحمداً أتاه جبريل التقي السرىِ
عليه خفٌ وقبا أسودُ مخنجراً في الحقو بخنجرِ
مات أبو البختري سنة (١٩٩هـ) وقيل سنة (٢٠٠)هـ ببغداد. انظر تاريخ بغداد ص٤٨٣ ج١٣.

(١) انظر تدريب الراوي ص١٨٧ والباعث الحثيث ص٩٤، وأصول الحديث ص٤٢٧.

(٢) تنزيه الشريعة ص١٤-١٥ ج١.

صدر الإسلام، وبينه وبين زمن بعضها نحو قرنين من الزمان.

النقطة الثانية:

نفينا في النقطة السابقة إتهام الخلفاء بالمساومة على وضع ما يؤيد سياساتهم وأغراضهم، وفي هذه النقطة نتساءل من هؤلاء الفقهاء الذين عناهم المؤلف في عبارته السابقة؟. من هؤلاء (الذين تغلب عليهم الحكام فاستعبدوهم بالمادة، واشتروا ضمائرهم بالمال..)؟.

ـ هل يمكن أن يكون بعض هؤلاء من الصحابة الأبرار، الذين بذلوا النفس والنفيس في سبيل الإسلام، وتفانوا في حب الرسول ﷺ!!!؟ هل يتصور عقلاً أن يقدم واحد من أصحاب رسول الله عليه الصلاة والسلام على مثل هذا!!!؟ الجواب لا، فإن التقصي الدقيق، والأبحاث العلمية النزيهة أكدت حرصهم على السنة، واحتياطهم لها، واستيثاقهم لما يروون ويسمعون[1]، وقد ألمعنا إلى شيء من هذا عندما تحدثنا عن ظاهرة الوضع. أولئك أئمة الفقهاء بعد النبي ﷺ، وأولئك خيار صدر الإسلام ممن يمكن أن يشار إليه من الرجال..

ولو أن المؤلف ذكر واحداً من أولئك الذين عناهم لفصلنا القول فيه، كما فصلناه في (اتهام جولد تسيهر للإمام ابن شهاب الزهري) وفندنا مقالته ودعواه تفنيداً علمياً كما سبق أن طالعت قبل صفحات. ومع هذا فإنا نؤكد على أنه من المستحيل أن يجد المؤلف أو غيره واحداً من الفقهاء، ممن يشار إليه أو يعتد به يصلح مثالاً لما ذكره، لا في صدر الإسلام فحسب بل على مر تاريخ الإسلام في عصوره الذهبية.

---

(١) انظر كتابنا السنة قبل التدوين ص٨٠-١٢٤، وكتابنا أصول الحديث ص٨٤-٨٨.

ففي عصر الصحابة كان كبار التابعين، وفيهم الفقهاء السبعة[1] وسعيد ابن جبير (٤٥-٩٥هـ) الفقيه الشهيد، والإمام زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (زيد الشهيد) (٧٩-١٢٢هـ) وأبو حنيفة النعمان بن ثابت (٨٠-١٥٠هـ)، وغيرهم ممن عاصرهم، وجاء بعدهم كعبدالله بن المبارك (١١٨-١٨١هـ) العالم المجاهد المرابط، ومالك بن أنس (٩٣-١٧٩هـ) إمام دار الهجرة الذي ابتلي وامتحن لقول الحق في الخلافة العباسية، والإمام محمد بن ادريس الشافعي (١٥٠ -٢٠٤هـ)، والإمام أحمد بن حنبل (١٦٤-٢٤١هـ) الذي ابتلي في محنة (خلق القرآن) وثبتَ وثبتت الأمة وراءه حتى كشف الله عنها تلك الغمة، من نذكر من الأئمة الأعلام على مر الزمان؟ ممن لا يحصيهم عادٌ ولا يجمعهم كتاب. . فكل واحد ممن ذكرنا فريد عصره، ونسيج وحده، وأمة قائمة بذاته. . ولو أن لغيرنا من الأمم عشر معشار ما لنا في هذا المضمار العلمي - لرفعت رأسها شامخاً في علياء السماء.

فليس من السهولة بمكان، ولا من البساطة أن يُقذَفَ فقهاء الأمة باتهامات جائرة لا أصل لها، أو أن يعمم الإتهام من غير تفصيل وبيان. ومن يقف على دقائق علماء الأمة وحياتهم وجهادهم، وصبرهم وقولهم الحق لا يخشون فيه لومة لائم يدرك سمو منزلتهم، وعظيم مكانتهم وبالتالي تستبن له قسوة ذاك الاتهام وبطلانه.

---

(١) وهم سعيد بن المسيب (١٥-٩٤هـ)، والقاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق (٣٧-١٠٧هـ)، وعروة بن الزبير (ت٩٤هـ)، وخارجة بن ثابت (٢٩-٩٩هـ)، وسليمان بن يسار (٣٤-١٠٧هـ)، وعبيدالله بن عبدالله بن عتبة بن مسعود (-٩٨)، وأبو سلمة بن عبدالرحمن بن عوف (-٩٤هـ)، وقيل سالم بن عبدالله بن عمر (-١٠٦)، وقيل أبو بكر بن عبدالرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي (-٩٤هـ) رضي الله عنهم أجمعين.

ولم يكونوا فريقين، فريق رَقّ دينه ومات ضميره، وفريق له ضمير حيّ . . لقد كانوا جميعاً أقوياء في دينهم، يملأ الإيمان قلوبهم وينير سبيلهم، لا يرضون عن الحق بديلاً، ولو انتهى بهم إلى ضيق الدنيا، وحمر المنايا.

خامسا ـ القصاصون بين الواقع والخيال:

أـ حقيقة القصاصين:

كنا ذكرنا في أسباب وضع الحديث على الرسول ﷺ ما فعله بعض القصاص، الذين كانوا يستميلون قلوب العامة بقصصهم وترغيبهم وترهيبهم[1] وكان بعض القصاص لا يهمه إلا أن يجتمع الناسُ عليه، فيضع لهم ما يرضيهم من الأحاديث التي تستثير نفوسهم، وتحرك عواطفهم مما يرغب الناس في الإحسان إليهم، والعطف عليهم، فإذا فرغ القاص من قصصه ألقى بعض الناس إليه ما تيسر له من طعام أو مال أو غيره من العطيات[2]، فهم أقرب إلى الظرفاء والشحاذين منهم إلى أهل العلم، وكان

(١) استشار تميم الداري أحد الصحابة رضي الله عنهم أجمعين عمر رضي الله عنه ليقص على الناس فأبى عليه ولم يسمح له إلا في آخر خلافته حين أكثر عليه، فقال عمر: ما تقول؟ قال: أقرأ عليهم القرآن، وآمرهم بالخير وأنهاهم عن الشر. قال عمر: ذلك الذبح ـ ما نؤمنك أن ترفعك نفسك حتى تبلغ السماء، ثم يضعك الله ـ ثم قال: عظ قبل أن أخرج في الجمعة، فكان يفعل ذلك يوماً واحداً في الجمعة. وفي رواية أنه مَرَّ عليه بعدُ، فضربه بالدرة. انظر كتاب تمييز المرفوع عن الموضوع ص١٨ : ب، وتحذير الخواص من أكاذيب القصاص: ص١٨٨ و١٨٩ . وعن نافع عن عبدالله بن عمر أنه لم يقص على عهد النبي ﷺ، ولا على عهد أبي بكر ولا عمر ولا عثمان وإنما قص حين وقعت الفتنة. انظر كتاب العلم للمقدسي ص٥٢، وذكر أخبار اصبهان ص١٣٦ ج١ طبع ليدن سنة ١٩٣١ . وانظر تحذير الخواص من أكاذيب القصاص: ص٢١٣ . وص١٧١، وروي نحو هذا عن السائب بن يزيد انظر ص١٧٢ منه وانظر الخطط للمقريزي ص٢٥٣ ج٢ .

(٢) انظر الباعث الحثيث ص٩٣-٩٤ والسنة قبل التدوين ص٢١١-٢١٢ .

جمهورهم (يطلبون الدنيا ويحتالون بالقصص والوعظ عليها)[1]، (وهذا من أفعال المستأكلة الذين يطلبون الدراهم والدنانير)[2]. .

ب ـ الغلو في القصاصين:

تلك حال القصاص غير أن الاستاذ الدكتور عبداللطيف حمزه غالى في أمرهم وسمو مكانتهم فقال: (وانتشر القصص، ودخل عليه الكذب وذلك منذ خلافة علي بن أبي طالب. . ولكن مما لا شك فيه أن القصص كان من أكبر أسس الدعاية في عهد الفتن الإسلامية، وأولاها الفتنة الكبرى التي حدثت في أيام الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه، ثم علا شأن القصص شيئاً فشيئاً حتى أصبح عملاً من الأعمال الرسمية في الدول الإسلامية وأصبح القاص أشبه بوزير الإعلام والدعاية في الوقت الحاضر ما لم يكن أكبر منه)[3].

ـ صحيح أن القصاص ظهروا أيام الفتنة، ولكن العلماء تصدوا لهم، ومنعوهم من القصص، وبينوا أمرهم، وحذروا الناس من الجلوس إليهم، أو السماع منهم.

---

(١) تحذير الخواص من أكاذيب القصاص ص٢٣٣.

(٢) المرجع السابق ص٢٣٤. وانظر أخبار بعض القصاص في الخطط للمقريزي ص٢٤٦ و٢٥٣ ج٢ والبيان والتبيين ص٣٦٨ ج١.

حج أبو القاسم عبدالله بن محمد البغوي (ت ٣١٧هـ) وأبو بكر الأدمي القارىء، وقد رأي البغوي في مسجد الرسول ﷺ ضريراً يقص في حلقة، ويروي الكذب والأخبار الموضوعة فلم يريا في الانكار عليه فائدة فقرأ أبو بكر الأدمي، فما أن ابتدأ بالقراءة حتى انفضت الحلقة عن القاص، وأحاطوا بأبي بكر يسمعون قراءته، وتركوا الضرير وحده، فقام الضرير وقال لقائده خذ بيدي (فهكذا تزول النعم) انظر تحذير الخواص: ص٢١٧-٢١٩.

(٣) الإعلام في صدر الإسلام ص٨٣.

جـ - مواقف العلماء وأولي الأمر من القصاص:

سأذكر فيما يلي بعض مواقف أولي الأمر وأهل العلم منهم:

١- أخرج أبو داود بسندٍ جيد عن عوف بن مالك رضي الله عنه قال: قال سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «لا يَقُصُّ إلا أمير، أو مأمورٌ أو مختال»(١).

٢- لما دخل علي رضي الله عنه مسجد البصرة أخرج القصاص منه وقال: لا يُقَصّ في المسجد(٢).

٣- دخل علي بن أبي طالب المسجد، فإذا رجل يَقُصُّ، فقال: ما هذا؟ فقالوا: رجلٌ يذكر النَاسَ، فقال: ليس برجل يذكر الناسَ، ولكنه يقول: أنا فلان ابن فلان فاعرفوني. فأرسل إليه فقال: أتعرف الناسخ من المنسوخ، فقال: لا قال: فاخرج من مسجدنا، ولا تذكر فيه(٣).

٤- حج معاوية بن أبي سفيان، فأخبر بقاص يقص على أهل مكة. . فأرسل إليه، فقال: أمِرتَ بهذا القصص؟ قال: لا قال فما حملك على أن تقص بغير إذن؟. قال: ننشر علماً عَلَّمناه الله عز وجل. قال معاوية: لو كنت تقدمت إليك لقطعت منك طائفة. ثم قام حين صلى الظهر بمكة وخطب في الناس وحثهم على التمسك بالسنة، وعدم اتباع الأهواء(٤).

٥- مر ابن عباس بقاصٍ يقص، فركله برجله وقال: أتدري الناسخ من المنسوخ؟. قال: لا. قال: هلكت وأهلكت(٥).

---

(١) تحذير الخواص من أكاذيب القصاص: ص١٧٣.

(٢) المرجع السابق ص٢١٣.

(٣) تحذير الخواص ص١٩٠-١٩١.

(٤) ذكرت الخبر بتمامه في ص١٢٢من هذا الكتاب وانظر تحذير الخواص: ص١٧٥ والمستدرك ص١٢٨ ج١.

(٥) انظر تحذير الخواص: ص١٩٢.

٦ـ قال رجل للسيدة عائشة رضي الله عنها: آتي القاصَّ يدعو لي؟ فقالت: لأن تدعو لنفسكَ خير من أن يدعو لك القاص[1].

٧ـ جلس قاص في مجلس ابن عمر رضي الله عنه، فقال له ابن عمر: قم من مجلسنا. فأبى أن يقوم، فأرسل ابن عمر إلى صاحب الشرطة: أقم القاص، فبعث إليه رجلاً فأقامه[2].

٨ـ قال عاصم الأحول: أرسلتني أم الدرداء ـ زوجة أبي الدرداء ـ إلى نوفٍ البكالي، وإلى رجلٍ آخر، كان يقص في المسجد، فقالت: قل لهما اتقيا الله، ولتكن موعظتكما الناسَ لأنفسكما[3].

٩ـ عن ميمون بن مهران قال: القاص ينتظرُ المقت من الله[4]

١٠ـ كان أبو عبدالرحمن السلمي يقول: اتقوا القصاصَ[5] وفي رواية لا تجالسوا القصاص.

١١ـ دخل رجل من أصحاب رسول الله ﷺ المسجد، فإذا كعبٌ يقصُّ، قال: من هذا؟ قالوا: كعب يقص. قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «لا يقص إلا أميرٌ، أو مأمور، أو مختال». فبلغ ذلك كعباً، فما رؤي يقصُّ بعدُ[6].

١٢ـ قال أبو ادريس الخولاني: لأن أرى في ناحية المسجد ناراً تأججُ أحبُّ إليَّ من أن أرى في ناحيته قاصاً يَقُصُّ[7].

---

(١) انظر المرجع السابق ص٩٩.

(٢) انظر المرجع السابق ص١٩٨.

(٣) انظر تحذير الخواص ١٨٧.

(٤) انظر المرجع السابق ص١٨٩.

(٥) انظر تحذير الخواص: ص١٨٥.

(٦) انظر تحذير الخواص: ص١٧٣.

(٧) تحذير الخواص: ص٢٠٠.

١٣- لما قص إبراهيم التيمي أخرجه أبوه يزيد بن شريك من داره. وقال: ما هذا الذي أحدثت؟[١].

١٤- عن أبي الوليد الطيالسي قال: كنت مع شعبة، فدنا منه شابٌ، فسأله عن حديث. فقال له: أقاصٌّ أنت؟ قال: نعم. قال: اذهب، فإنا لا نحدّثُ القصاصَ. فقلت له: لمَ يا أبا بسطام؟ قال: يأخذون الحديث منا شبراً فيجعلونه ذراعاً[٢].

١٥- وقال الإمام أحمد أكذبُ الناس السُّؤَّالُ والقصاصُ[٣].

١٦- دخل التابعي سليمان بن مهران الأعمش (ت١٤٨هـ) مسجد البصرة فرأى قاصاً يقص في المسجد. فقال القاص: حدثنا الأعمش عن أبي اسحاق عن أبي وائل.. فتوسط الأعمش الحَلْقَةَ، وجعل ينتفُ شعر إبطه. فقال له القاصٌّ: يا شيخُ! ألا تستحي؟ نحن في علمٍ وأنت تفعلُ مثلِ هذا؟. فقال الأعمش: الذي أنا فيه خيرٌ من الذي أنتَ فيه. قال: كيفَ؟ قال: لأني في سنةٍ وأنت في كذبٍ أنا الأعمش وما حدثتك مما تقولُ شيئاً[٤].

١٧- ذكر الإمام الطبري في حوادث سنة تسع وسبعين ومائتين في خلافة المعتضد، أنه (نودي في بغداد أن لا يقعد على الطريق، ولا في المسجد الجامع قاص ولا صاحبُ نجوم...)[٥]. ونودي في سنة أربع وثمانين ومائتين في جمادي الآخرة في المسجد الجامع بنهي الناسِ عن الاجتماعِ إلى قاصٍ، ويمنعِ القصاصِ من القعودِ[٥].

---

(١) تحذير الخواص: ص٢٠٠.

(٢) انظر المرجع السابق ص٢٢٩.

(٣) انظر تحذير الخواص: ص٢٠٤.

(٤) انظر المرجع السابق ص١٤٦ و٢١٤-٢١٥.

(٥) عن تاريخ الطبري ص٢٨ ج١ وص٥٤ ج١٠ انظر تحذير الخواص: ص٢١٩.

١٨- سئل الإمام مالك بن أنس إمام دار الهجرة عن الجلوس إلى القصاص، فقال: ما أرى أن يجلَسَ إليهم، وإن القَصصَ لَبِدْعَةٌ[١].

قال الفقيه ابن رشد رحمه الله: (كراهة القصص معلومةٌ من مذهب مالك)[٢].

١٩- روي عن يحيى بن يحيى قال: (خرج معنا فتى من طرابلس إلى المدينة، فكنا لا ننزل منزلاً إلا وعظنا فيه حتى بلغنا المدينة، فكنا نعجب من ذلك، فلما أتينا المدينة إذ هو قد أراد أن يفعل بهم ما كان يفعلُ بنا، فرأيته وهو قائم يحَدِّثهم وقد لهَوْا عنه، والصبيان يحصبونه، ويقولون له: اسكت يا جاهل. فوقفت متعجباً لما رأيتُ، فدخلنا على مالك، فكانَ أول شيء سألناه عنه بعد أن سلمنا عليه ما رأينا من الفتى، فقال مالك: أصابَ الرجالُ إذ لهوا عنه، وأصاب الصبيان إذ أنكروا عليه باطله.

قال يحيى: وسمعت مالكاً يكره القصص، فقيل له: يا أبا عبدالله! فإن تكره مثل هذا فعلام كانَ يجتمعُ من مضى؟ فقال: على الفقه، وكان يأمرهم وينهاهم)[٣].

٢٠- قال المقريزي: (قال الليث بن سعد - في القصص - هما قصصان قصص العامة، وقصص الخاصة، فأما قصص العامة فهو الذي يجتمع إليه النفر من الناس يعظهم ويذكرهم، فذلك مكروه لمن فعله ولمن استمعه، وأما قصص الخاصة فهو الذي جعله معاوية، ولى رجلاً على القصص، فإذا سلم من صلاة الصبح جلس وذكر الله عز وجل وحمده ومجده، وصلى على النبي ﷺ، ودعا للخليفة ولأهل ولايته، ولحشمه وجنوده ودعا على أهل حربه وعلى المشركين كافة)[٤].

(١ و٢) تحذير الخواص: ص٢١١.

(٣) المرجع السابق ص٢١١-٢١٢.

(٤) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار للمقريزي ص٢٥٣ ج٢. وما ذكرناه عن

٢١ـ قال ابن قتيبة رحمه الله: (والحديث يدخله الشوبُ والفساد من وجوه ثلاثة، منها (الزنادقة) واجتيالهم للإسلام وتهجينه بدس الأحاديث المستشنعة والمستحيلة.. والوجه الثاني القصاص على قديم الأيام فإنهم كانوا يُميلون وجوه العوام إليهم، ويستدّرون ما عندهم بالمناكير والغريب والأكاذيب من الأحاديث، ومن شأن العوام القعود عند القاص ما كان حديثه عجيباً خارجاً عن فطر العقول، أو كان رقيقاً يحزن القلوب، ويستغزر العيون، فإذا ذكر الجنة قال فيها الحوراء من مسك أو زعفران، وعجيزتها ميل في ميل، ويبوىء الله تعالى وليه قصراً من لؤلؤة بيضاء فيه سبعون ألف مقصورة.. وكلما كان من هذا أكثر كان العجبُ أكثر، والقعود عنده أطول، والأيدي بالعطاء إليه أسرع..)[1].

د ـ خلاصة القول في القصاص:

من كل ما سبق يتبين لنا أنه لم يُقَصّ إلا أيام الفتنة وما بعدها، ففي آخر زمن عمر رضي الله عنه أذن لتميم الداري أن يقص يوم الجمعة، وحدد له ما يقص، وضربه بالدرة بعدُ، وتوافقت الروايات أن ظهور القصص كان أيام الفتنة، وعلى ما يبدو أن بعض المرتزقة والمتكسبين ممن لا علم لهم ـ رأوا في القصص عند العامة سبيلاً سهلاً للكسب، فكانوا يحدثون بالمناكير والغرائب والعجائب ليستدروا عطفهم، ويشبعوا رغباتهم فيحظوا بالنوال والعطاء منهم، ولم يشجع المسؤولون القصاص آنذاك، بل رهبوهم من القصص، وحذروهم من القول بغير علم كما ثبت هذا عن علي ومعاوية وابن عباس وابن عمر وغيرهم رضي الله عنهم، ومنهم من منعهم من الجلوس في

= معاوية قبل صفحات في (الفقرة الرابعة من هذا المبحث) يؤكد كراهة القصص العامة.

(١) تأويل مختلف الحديث ص٣٥٥ـ٣٥٧.

المساجد، ومنهم من أمر الشرطة بالقبض عليهم، ومنهم من ركل بعضهم برجله . . فلم يتساهل أولو الأمر مع القصاص كما لم يتساهل أهل العلم في شأنهم، بل أنكروا عليهم وزجروهم، ونبهوا العامة إلى كذبهم، ونهوا الناس وبخاصة طلاب العلم عن مجالستهم، فلم يكن القصص من الأعمال الرسمية في الدولة الإسلامية في يوم من الأيام - كما ذهب إليه الكاتب - كما لم يكن له أي شأن عند سواد المسلمين وعلمائهم وطلاب العلم، لا في صدر الإسلام ولا بعده، وإن ما ذكره الإمام الطبري مما نودي به سنة أربع وثمانين ومائتين في جمادي الآخرة في المسجد الجامع (**بنهي الناس عن الاجتماع إلى قاص وبمنع القصاص من القعود**)(١) لَيُؤكدُ صحة ما قلنا، ويؤكد أنه لم يكن للقصاص أيما شأن حتى نهاية القرن الثالث الهجري على أقل تقدير، ولم يبلغ القصاص في يوم من الأيام منزلة يستشرفها ذوو المروءة، أو أقلَ مرتبة من مراتب أهل العلم، ناهيك أن يشبه أحدهم (وزير الإعلام والدعاية في الوقت الحاضر ما لم يكن أكبر منه) - كما قال المؤلف - اللهم إلا أن تسند هذه الوزارة إلى غير أهلها، فتنحدر إلى الحضيض ليكون القاص شبيهاً برأسها إن لم يكن أكبر منه. وهذا أمر محال في أمة لها مكانتها ورسالتها!!!

هـ - شتان بين القاص ووزير العدل والإعلام:

أمام تلك الحقائق التي سقتها ندرك التهويل الكبير، والمغالاة العجيبة، والإغراق في الخيال والتصور الذي يتجاوز (أحلام اليقظة) في قول المؤلف: (وكان بعض القصاص في تلك العصور يجمعون بين وظيفتين في وقت واحد: هما وظيفة القضاء، ووظيفة القصص، أو بلغة العصر الذي نعيش فيه بين وزير العدل ووزير الدعاية، ثم رؤي فيما

---

(١) تحذير الخواص: ص٢١٩ عن تاريخ الطبري انظر تاريخ الأمم والملوك ص٢٨ ج١٠ وص٥٤ ج١٠.

بعد أن يختص الرجل باحدى هاتين الوظيفتين)[1].

إن صح هذا القـول ـ جدلاً ـ فلا يصدق على القرون الثلاثة الأولى عامـة، وعلى صدر الإسلام خاصة، بدلالة ما أسلفناه سابقاً، وشتان بين وزارة العدل ووزارة الإعلام من جهة وبين مسلك القصاص ومجالسهم من جهة أخرى، فإن ما يناط بوزارة العدل من تعيين القضاة، والنظر في مظالم الناس، والسعي لإقامة العدالة، ودفع الظلم وغير ذلك مما لا يخفى على أحد من أعمال كثيرة، ومسؤوليات كبيرة على مستوى الدولة والأفراد يفوق مئات المرات ما يقوم به القاص، يتكفف أيدي الناس بقصصه، ويؤلف القلوب حوله ليستدر عطاءها. . وشتان بين نظرة الأمة آنذاك إلى القضاء والقضاة واكبارهم واحترامهم، وبين نظرتها إلى القصاص وقصصهم. . ! ! ! ولا يقل الفـرق الشاسع بين مسؤوليات وزارة الإعلام وحال القصاص عن الفرق الكبير الذي رأيناه بينهم وبين مسؤوليات وزارة العدل، فشتان بين الدعاة والموجهين القائمين على الحق وبين الظرفاء والقصاص المتتبعين للغرائب و العجائب والموضوعات. . فلا سبيل للموازنة بينهما بحال من الأحوال.

و ـ هل أسند القضاء والقصص إلى أحد في صدر الإسلام؟.

قد يقـول قائـل: ثبت أن جمع بعض القصـاص بين وظيفتي القضاء والقصص، فقـد ذكـر الـدكتـور عبـداللطيف أنه (كان أول من جمع بين القصص والقضاء في مصر الإسلامية هو (سليمان بن عتر التجيبي) سنة ثمان وثلاثين للهجرة)[2].

فالجـواب عنـه أن المقـريزي رحمه الله ذكره بصيغة التمريض، قال:

---

(١) الإعلام في صدر الإسلام ص٨٣.

(٢) الإعلام ص٨٣.

(ويقال إنَّ أول من قَصَّ بمصر سليمان بن عتر التجيبي في سنة ثمانٍ وثلاثين، وجمع له القضاء إلى القصص، ثم عزل عن القضاء، وأفرد بالقصص . .)[1].

لقد تعارف المحدثون والمؤرخون على أن يذكروا الأخبار الضعيفة بصيغة التمريض نحو (يقال) و (قيل)، و (يروى) و (روي)، لا بصيغة الجزم نحو (قال، وروى، وحكى.) ولو سلمنا ـ جدلاً ـ بصحة هذا الخبر فإن وكيع بن خلف صاحب كتاب أخبار القضاة لم يذكره في قضاة مصر بل ذكر (سليم بن عمر النخعي)[2] ولم يترجم له كما أن ابن حجر ذكره في ترجمة صلة بن الحارث الغفاري أنه (سليم بن عتر)، وأنه كان يقص، ومهما يكن الأمر فليس بعيداً أن يكون التصحيف والتحريف قد وقع في الاسم، أو أن بعضهم ذكره باسم سليم، وآخرون باسم سليمان، ومع كل هذا فقد أنكر عليه الصحابي صلة بن الحارث رضي الله عنه قال ابن حجر في ترجمة صلة (قال البخاري وابن حبان وابن السكن له صحبة، وقال البغوي سكن مصر. قال ابن السكن حديثه عند المصريين باسناد جيد، وقال ابن يونس: شهد فتح مصر وروى البخاري والبغوي ومحمد بن الربيع الجيزي وابن السكن والطبراني من طريق سعيد بن عبدالرحمن الغفاري أن سليم بن عتر كان يقص وهو قائم، فقال له صلة بن الحارث الغفاري وهو من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «واللهِ ما تركنا عهد نبينا، ولا قطعنا أرحامنا حتى قمت أنت وأصحابك بين أظهرنا»، وفي رواية لمحمد بن الربيع (بينما سليم بن عتر يقص على الناس إذ قال شيخ من بني غفار له صحبه فذكره ـ أي فذكر الخبر السابق ـ حتى قام[3].

---

(1) خطط المقريزي ص٢٥٣ ج٢.

(2) انظر أخبار القضاة ص٣٢٥ ج٣.

(3) الاصابة في تمييز الصحابة ص١٩٣-١٩٤ ج٢.

فلم يقطع أحد بصحة جمع سليم (أو سليمان) بن عتر التجيبي بين القضاء والقصص، وروى الخبر بما يدل على ضعفه ، ولو سلمنا بصحته، فلم يكن ذلك في صدر الإسلام، كما لم يسكت عنه بل أنكر عليه بعضهم، ويعد إنكار صلة بن الحارث الغفاري عليه انكاراً شديداً . . وكل هذا يشعر بأنه لم يكن للقصاص منزلة رفيعة كما ذكر المؤلف.

سادساً ـ هل لَبَّسَ القصص على المسلمين أمر دينهم وشوه تاريخهم؟

قال الاستاذ الدكتور عبداللطيف حمزة: (ومهما يكن من شيء فعن طريق القصص دخلت على المسلمين أساطير الديانات الأخرى، اليهودية والنصرانية، وكان ذلك سبباً من الأسباب التي كلفت رجال الحديث كثيراً من الجهود المضنية في التحري عن صدق الأحاديث النبوية إلى جانب الأسباب الأخرى التي جعلتهم يعانون من أجل هذه الغاية[1]. وبسبب ذلك أيضاً امتلأت كتب التاريخ الإسلامي بكثير من الوقائع الزائفة، والحوادث المختلفة، وذلك منذ اعتمد المؤرخون المسلمون على مصدرين كبيرين هما (وهب بن منبه) و(كعب الأحبار). أما وهب بن منبه فرجلٌ يمني من أصل فارسي، وكان من أهل الكتاب، وله معرفة واسعة بقصص الأنبياء وأخبارهم، وأما كعب الأحبار فيهودي من اليمن أيضاً، وكان مصدراً لتسرب أخبار اليهود إلى المسلمين، وعن طريقه أيضاً دخل في تفسير القرآن الكريم ما يعرف بالاسرائيليات. والخلاصة أن القصص أفاد المسلمين فائدة جزئية عن طريق الدعاية للخلفاء والملوك والسلاطين، ولكن هذا القصص أخل

---

(١) فصلنا القول في الفصل الثاني من هذا الباب في جهود العلماء في مقاومة الوضع فليراجع، وانظر كتابنا السنة قبل التدوين ص٢١٩-٢٤١.

بنـواحٍ ثلاث، وهي ناحية الحـديث النبوي، وناحية التاريخ الإسلامي، وناحيةً الديانة الإسلامية نفسها عن طريق الاسرائيليات ـ هذا ما حدث في صدر الإسـلام، ولكن بتحول الخـلافة الإسلامية إلى ملك حقيقي على يد معـاوية أصبـح للقصص شأن كبـير في تحميس الجنود للقتال، فضلاً عن الـدعـاية لخلافة جديدة أو مذهب جديد ونحو ذلك، لقد كان القصص عنصراً أساسياً في جيوش المسلمين، وعليه اعتمد أولو الأمر في شد أزر الجنود في الفتـوح الإسـلامية، والحروب الدينية، ومن أشهرها الحروب الصليبية المعروفة في التاريخ)[1].

دل النص السابق على ما يلي:

ـ دخول اساطير الديانات الأخرى اليهودية والنصرانية على المسلمين بسبب القصص.

٢ـ بَذْلُ المحدثين جهوداً مضنية للتحري عن صدق الأحاديث.

٣ـ امتلاء كتب التاريخ الإسلامي بكثير من الوقائع الزائفة، لاعتماد المؤرخين المسلمين على كعب الأحبار ووهب بن منبه.

٤ـ أفاد القصص في الدعاية لأولي الأمر.

٥ـ أخل القصص في الحديث النبوي وفي التاريخ، وفي الديانة الإسلامية نفسها عن طريق الاسرائيليات، و(هذا ما حدث في صدر الإسلام).

٦ـ صار للقصص شأن كبير على يد معاوية في تحميس الجنود.. واعتمده أولو الأمر في شد أزر الجنود في الفتوح الإسلامية..

وسأحاول بيان هذه النقاط بإيجاز:

١ـ لا شك في دخول أخبار أهل الكتاب على المسلمين، ومعرفة أهل العلم

---

(١) الإعلام في صدر الإسلام ص٨٣-٨٤.

لها، ومعـرفـة العامة ببعضها، وماذا يضير المسلمين من معرفة أخبار أهل الكتاب ما داموا يميزونها، ولا يعتقدون بها!؟ قال ابن كثير رحمه الله: (في بعض الأحيان ينقل عنهم ـ (يريد ابن مسعود وابن عباس) ـ ما يحكونه من أقاويل أهل الكتاب، التي أباحها رسول الله ﷺ حيث قال: «بلغوا عني ولو آية، وحدثوا عن بني اسرائيل ولا حرج، ومن كذبَ عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار». ولكن هذه الأحاديث الاسرائيلية تذكر للاستشهاد لا للاعتضاد وهي على ثلاثة أقسام:

أحدها: ماعلمنا صحته مما بأيدينا مما يشهد له بالصدق فذاك صحيح.

والثاني: ما علمنا كذبه مما عندنا مما يخالفه، فذاك مردود.

والثالث: ما هو مسكوت عنه، لا من هذا القبيل ولا من هذا القبيل، فلا نؤمن به ولا نكذبه، وتجوز حكايته لما تقدم، وغالب ذلك مما لا فائدة فيه تعود إلى أمرٍ ديني[1].

٢ـ إن الجهود الطيبة التي بذلها أهل العلم منذ عهد الصحابة رضوان الله عليهم أجمعـين، في سبيل حفظ السنة ونقلها والاحتياط لها والاستيثاق لما يروى عن الرسول ﷺ ـ جهود عظيمة، جمعتها مصنفات العلماء في علوم الحديث المختلفة، ولم يكن عجباً أن يحظى حديث الرسول ﷺ بهذه العناية والـرعاية والاهتمام فهو المبين لكتاب الله تعالى: المفصل لأحكامه، وكان شعـار العلماء وطلاب العلم في رواية الحديث وتحمله «إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم» و«الاسناد من الدين، ولولا الاسناد لقال من شاء ما شاء». وإن منهج الصحابة والتابعين ومن جاء بعدهم في قبول الأخبار والاحتياط لها يؤكـد أصالة تحريهم لحديث الرسول ﷺ[2]. فعن عبادة بن

(١) مختصر تفسير ابن كثير ص١٢ ج١.

(٢) انظر أصول الحديث ص٧٩ـ٩٤.

سعيد التجيبي أن عقبة بن نافع الفهري (١ ق هـ-٦٣هـ) أوصى بنيه فقال: (يا بني لا تقبلوا الحديث عن رسول الله ﷺ إلا من ثقة)[١]. ولقي سليمان ابن موسى طاوساً (ت١٠٦هـ) فقال له: (حدثني فلان كيت وكيت. قال: إن كان صاحبك ملياً فخذ عنه)[٢].

وقال سعد بن إبراهيم (٥٣-١٢٥هـ): (لا يحدث عن رسول الله ﷺ إلا الثقات)[٣].

وكثيراً ما كان يزيد بن أبي حبيب محدث الديار المصرية يقول: (إذا سمعت الحديث فانشده كما تنشدُ الضالة، فإن عرف فخذه وإلا فدعه)[٤]. واشتهر قول العلماء كشعبة بن الحجاج (٨٢-١٦٠هـ) وسفيان الثوري (٩٧-١٦١) وغيرهم - (خذوا العلم عن المشهورين)[٥]. و(لا يؤخذ هذا العلم إلا عمن شهد له بالطلب)[٦].

ونختتم هذا بقول أبي العالية الرياحي (كنا نسمع الرواية عن أصحاب رسول الله ﷺ بالبصرة، فلم نرض حتى ركبنا إلى المدينة فسمعناها من أفواههم)[٧] - الذي يبين اهتمام التابعين وأهل العلم من بعدهم بالسنة ويؤكد حرصهم على التحمل عن الثقات.

ومما تجدر الإشارة إليه أن أهل الحديث ونقاده ضاعفوا نشاطهم حين ظهرت أسباب الوضع، فتشددوا في قبول الأخبار وتتبعوا الرواة وبينوا

(١) الجرح والتعديل ص٢٩ قسم ١ ج١.
(٢) صحيح مسلم ص١٥ ج١ والجرح والتعديل ص٢٧ قسم ١ ج١.
(٣) صحيح مسلم ص١٥ ج١، وسنن الدارمي ص١١٢ ج١.
(٤) الجرح والتعديل ص١٩ ج١.
(٥و٦) المحدث الفاصل فقرة (٤٢٠) والجرح والتعديل ص٢٨ قسم ١ ج١.
(٧) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع فقرة (١٧٤٠) والكفاية ص٤٠٢.

أحوالهم، ونبهوا طلاب العلم والعامة إلى المتهمين، ونشروا أمر الكذابين، واستعدوا عليهم أولي الأمر، وبينوا المقبول من المردود، والقوي من الضعيف، والموضوع من غيره، وإن آثارهم العلمية المطبوعة والمخطوطة تنطق بجهودهم، وبهذا لم يستطع أن يلبس أهلُ البدع والأهواء والوضاعون على المسلمين أمر دينهم[1]. أو يفسدوا حديث نبيهم.

٣- وأما امتلاء كتب التاريخ الإسلامي بكثير من الوقائع الزائفة، لاعتماد المؤرخين المسلمين على كعب الأحبار ووهب بن منبه - فإن المؤرخين المسلمين يذكرون أخبارهم بأسانيدها، فهم أمناء فيما ينقلون، يعزون كل خبر إلى قائله، وأهل العلم يعرفون الصحيح من غيره لمعرفتهم برواة الأخبار، والعلم لا يؤخذ إلا من أهله، ومع هذا فإن بعض المؤرخين ناقش ما نقل وبين الراجح من المرجوح. ولم يخرج جميع المؤرخين عن كعب الأحبار[2] وعن وهب

---

(١) انظر السنة قبل التدوين ص٧٧-٢٤١.

(٢) كعب الأحبار هو كعب بن ماتع الحميري، أبو اسحاق، ويقال له كعب الحبر، وكعب الأحبار. والأحبار: العلماء. كان من أحبار اليهود ومن أوسعهم اطلاعاً على كتبهم، وُلِدَ في اليمن، أدرك الجاهلية والإسلام، فكان من المخضرمين، أقام في اليمن إلى أن هاجر وأسلم سنة اثنتي عشرة زمن عمر رضي الله عنه، قال ابن سعد: (كان على دين اليهود فأسلم وقدم المدينة، ثم خرج إلى الشام فسكن حمص حتى توفي بها سنة (٣٢) في خلافة عثمان) رضي الله عنه، توفي عن مائة وأربع سنين، وذكر ابن سعد عن حماد بن سلمة، عن علي بن زيد بن جُدعان، عن ابن المسيب أن العباسَ قال لكعب: ما منعك أن تُسلم في عهد النبي ﷺ وأبي بكر حتى اسلمت في خلافة عمر؟ قال: إن أبي كان كَتَبَ لي كتاباً من التوراة فقال: اعمل بهذا، وختم على سائر كتبه، وأخذ عليَّ بحق الوالد على الولد أن لا أفض الختم عنها، فلما رأيت ظهور الإسلام قلت: لعل أبي غيب عني علماً؟ ففتحتها فإذا صفة محمد وأمته، فجئت الآن مسلماً. . ، طبقات ابن سعد ص٤٤٥ جـ٧. وعن حميد بن عبدالرحمن =

ابن منبه[1]، ومع هذا فان أخبارهما رويت بأسانيدها. وقد أسلفت قبل قليل قول ابن كثير رحمه الله في أخبار أهل الكتاب. ولا بد من التفريق بين (الوقائع الزائفة) وبين أخبار أهل الكتاب، فلم يختص كعب أو وهب بذكر الوقائع الزائفة، وقد أسلفنا قبل صفحات[2] إمساك كعب عن القصص حين علم بقول النبي ﷺ «ولا يقصُّ إلا أميرٌ، أو مأمورٌ، أو مختال».

٤ـ كنا بينا موقف العلماء وأولي الأمر من القصاص، وأكدنا أن القصص لم يتخذ وسيلة للدعاية لأولي الأمر في صدر الإسلام وبخاصة أنه لم يؤذن بالقصص لتميم الداري إلا في أواخر خلافة عمر رضي الله عنه، وأما بعد خلافته وفي الفتنة على الأخص فلم نقف على ما يثبت استغلال أولي الأمر

= أنه سمع معاوية يحدث رهطاً من قريش بالمدينة وذكر كعب الأحبار فقال: إن كان لمن أصدق هؤلاء الذين يحدثون عن أهل الكتاب، وإن كنا مع ذلك لنبلو عليه الكذب تهذيب التهذيب ص٤٣٨ـ٤٣٩ جـ٨. وانظر الاعلام ص٢٢٨ جـ٥.

(١) هو وهب بن منبه بن كامل الصنعاني، روى عن أبي هريرة وأبي سعيد وابن عباس وابن عمر وعن عبدالله بن عمرو بن العاص وعن غيرهم من الصحابة، كان من أبناء فارس، قال العجلي تابعي ثقة، ووثقه أبو زرعة والنسائي، وضعفه عمرو بن علي الفلاس، كان على قضاء صنعاء. روى ابن سعد بسنده عن المثنى بن الصباح قال: لبث وهب بن منبه أربعين سنة لم يسب شيئاً فيه الروح، ولبث عشرين سنة لم يجعل بين العشاء والصبح وضوءاً. كان مولده سنة (٣٤)هـ في خلافة عثمان رضي الله عنه، وتوفي سنة ١١٠هـ، وقيل مات بعد ذلك، وقيل إن والي اليمن لبني أمية يوسف بن عمر الثقفي الجبار المعروف بعنفه ضربه حتى مات. انظر تهذيب التهذيب ص١٦٧ـ١٦٨ ج١١ والاعلام ص٢٤٣ ج٨.

(٢) انظر الفقرة (١١) من مبحث (القصاصون بين الواقع والخيال).

للقصص والقصاص بل وقفنا على خلاف هذا من منعهم وزجرهم[1]، اللهم إلا ما ذكره الليث بن سعد رحمه الله من القصص الخاص زمن معاوية رضي الله عنه مما لا يَرَاحُ منه ـ من قريب أو بعيد ـ رائحة الاستغلال أو الدعاية[2].

٥ـ أما أن القصص قد أخل بنواحٍ ثلاث وهي: (الحديث النبوي)، و(التاريخ الإسلامي)، و(الديانة الإسلامية نفسها) ـ فإن الحقيقة تنفي ذلك وترده. وخلاصة هذا فيما يلي:

أـ بالنسبة للحديث النبوي فقد بينا جهود العلماء في رعايته وحفظه، ومع هذا فقد صنف العلماء في الأحاديث الموضوعة، وفي القصص والقصاص وفي الرواة وأحوالهم وأخبارهم، وبيان الثقات والضعفاء والمجروحين.. ما لا يدع سبيلاً لهذا الخلل أو اللبس[3].

ب ـ بالنسبة لكتب التاريخ فقد رفع المؤرخون القدامى العهدة (الواجب) عن أنفسهم بما نقلوه بأسانيده، وبما أشاروا إليه من صحة أو ضعف، أو أنه من أخبار أهل الكتاب[4]، وأما المؤرخون المحدثون من علماء المسلمين فقد جردوا ما كتبوه من الأسانيد، ووازنوا بين الروايات واعتمدوا الراجح منها، واجتنبوا الغرائب والمنكرات وأحالوا على المصادر والمراجع بما يساعد الباحث على التحقيق والتدقيق[5]، ووجد بعض المشتغلين في التاريخ من المستشرقين

---

(١) انظر الفقرات (٣ـ٥) من موضوع (القصاصون بين الواقع والخيال).
(٢) انظر الفقرة (٢٠) من الموضوع السابق.
(٣) انظر كتابنا لمحات في المكتبة والبحث والمصادر ص٢٠٣ـ٢١٨.
(٤) انظر كتابنا لمحات في المكتبة والبحث والمصادر ص ٢٦٨ـ٢٧٤.
(٥) انظر المرجع السابق ص٢٧٥ـ٢٧٨.

وغيرهم ممن يتربص بالمسلمين الدوائر مادة مناسبة لأهوائهم في بعض الأخبار الزائفة أو الغريبة، ومع هذا فإنها لا تخفى على أهل العلم[1].

جـ ـ وأما الخلل الذي اعترى (الديانة الإسلامية نفسها عن طريق الاسرائيليات) فهذا أمر مستغرب جداً، فإذا أراد بالديانة الإسلامية العقيدة، فلله الحمد فإن أهل السنة والجماعة يؤمنون بما أنزل على الرسول ﷺ إيماناً لا يشوبه لبس، أو وهم مما له صلة بعقائد أهل الكتاب، وإن أراد الكاتب، الأحكام والآداب، فإن كتب الفقه اعتمدت الأدلة الشرعية المعتبرة شرعاً، واعتمدت كتب الآداب على الحديث النبوي، وما صنف في التهذيب ومجاهدة النفوس بعد القرن الرابع خرج علماء الحديث أحاديثه، وبينوا المقبول من غيره، ومع هذا فإن مخارج الحديث منوطة برواتها، وقد ذكر المصنفون نقلتها، وأشار النقاد إلى المؤلفات الضعيفة[2]. وإن أراد المؤلف بقوله السابق ما ورد من اسرائيليات في كتب التفسير، فقد ذكرها المفسرون بأسانيدها، كما نبه بعض العلماء طلاب العلم إلى التفاسير المشحونة بها[3].

---

(١) كما في (تاريخ الشعوب الإسلامية) لبروكلمان. انظر كتابنا لمحات في المكتبة والبحث والمصادر ص٢٧٩.

(٢) انظر مقدمة الإمام السيوطي لكتابه الجامع الكبير ص٢ قبل متن الكتاب، ومما ذكرناه كتاب (احياء علوم الدين) للغزالي (ت٥٠٥ هـ) خرج الحافظ العراقي حديثه. وخرج السيوطي أحاديث كتاب (الشفا) للقاضي عياض، وقد بين الامام المنذري (٥٨١ـ٦٥٦هـ) في مقدمة كتابه (الترغيب والترهيب) منهجه في بيان درجة الحديث. وغير هذه الكتب كثير.

(٣) كتفسير أبي اسحاق الثعلبي (ت ـ٤٢٧) (الكشف والبيان عن تفسير القرآن) المحشو بالاسرائيليات وبقصص الأمم الغابرة، وبالأحاديث الضعيفة من غير أن يشير إلى درجتها. . فنقده العلماء نقداً مريراً. انظر مقدمة التفسير لابن تيمية ص١٩، والتفسير والمفسرون ص٢٣٦ ج١.

ولا يُخاف في هذا الموضوع على طلاب العلم وأهله بقدر ما يخشى على العامة.

وأما أن هذه الأمور (حدثت في صدر الإسلام) فهذا ما لا نوافقه عليه، وإن كل ما سقناه سابقاً يسقط هذا (الزعم)، فلم يحصل شيء من هذا زمن النبي ﷺ، إذ كان بين ظهراني الصحابة، الذين لم يكونوا يقطعون أمراً عاماً أو خاصاً، جليلاً أو حقيراً إلا بعد استشارة الرسول ﷺ، فقد كان ﷺ مرجع أصحابه في كل شيء. كما أنه لم يقع شيء من هذا زمن الخلافة الراشدة لتظاهر الصحابة، وتعاضدهم في إقامة شرع الله عز وجل، ومن يقف على نشاط الصحابة آنذاك وتفانيهم في صيانة الإسلام والمسلمين يدرك تلاشي هذه (القضية) وبطلانها.

٦ـ وأما ارتقاء شأن القصص زمن معاوية في تحميس الجنود.. واعتماد أولي الأمر بعده في شد أزر الجنود في الفتوح الإسلامية.. فإن ما عرفناه من أخبار معاوية رضي الله عنه في القصص يخالف هذا.. ونحن نعلم أن في جيوش الفتح الإسلامي خطباء وفقهاء وشعراء كانوا يحمسون الجنود ويشجعونهم، وأما اثبات دور القصص في تشجيع الجنود فيحتاج إلى وقائع مؤيده، وشواهد مؤكدة، فإن ثبت شيء من هذا درس مضمون قصصهم، فإن كان صحيحاً فلا شيء فيه، ويحمد من سنه أو فعله، لأن شد أزر الجنود في ميادين الوغى أمرٌ محمود، وقد سبق إليه الرسول ﷺ[1]، وإن ثبت عدم صحته أو الكذب

(١) من هذا ما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (انطلق رسول الله ﷺ وأصحابه حتى سبقوا المشركين إلى بدر، وجاء المشركون، فقال رسول الله ﷺ: «لا يَقْدمَنَّ أحدٌ منكم إلى شيء حتى أكون أنا دونه» فدنا المشركون فقال رسول الله ﷺ: «قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض» قال: يقول عمير بن الحمام الأنصاري رضي الله عنه: يا رسول الله جنةٌ عرضها السموات والأرض؟ قال: نعم قال: بخٍ بخٍ. فقال=

فيه على الرسول ﷺ فحرام فعله، ويوزر من ابتدعه ومن تابعه.

ومهما يكن الأمر فلم يكن للقصص المكروه أي أثر أو وجود في تشجيع الجنود في صدر الإسلام ولا في الخلافة الراشدة، وهو موضوع بحثنا ومحله، وما بعد تلك الفترة يحتاج إلى مزيد بحث وتحقيق. والحمد لله رب العالمين.

= رسول الله ﷺ: ما يحملك على قولك بخٍ بخٍ؟ قال: لا والله يا رسول الله إلا رجاء أن أكون من أهلها. قال: فانك من أهلها، فأخرج تمرات من قرنه فجعل يأكل منهن ثم قال: لئن أنا حييتُ حتى آكل تمراتي هذه إنها لحياةٌ طويلةٌ، فرمى بها كان معه من التمر ثم قاتلهم حتى قتل) أخرجه الامام مسلم.

ومن هذا تشجيع الرسول ﷺ الصحابة يوم احد وخروج أبي دجانة إلى المشركين وترويعه إياهم.. وغيرها من الغزوات وسار بعض الصحابة على سنته ﷺ في شحذ العزائم عند لقاء العدو، من هذا تشجيع أبي موسى الأشعري رضي الله عنه وهو بحضرةالعدو، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أبواب الجنة تحت ظلال السيوف» فقام رجلٌ رث الهيئة فقال: يا أبا موسى أأنت سمعت رسول الله يقول هذا؟ قال: نعم فرجع إلى أصحابه فقال: أقرأ عليكم السلام. ثم كسر جفن سيفه ـ أي غمده ـ فألقاه، ثم مشى بسيفه إلى العدو فضرب به حتى قتل. رواه مسلم وأحمد والترمذي انظر كتابي قبسات من هدي النبوة ص٥٠ و٥١.

الخاتمــــة

بعـد هذا العـرض الـوجيـز ظهرت لنا خصائص الإعلام الإسلامي ودوافعـه، وأنـه مبني على العقيدة والموضوعية، قائم على التثبت والتوثيق والمسؤولية، منهجي منظم، يعتمد الوسائل والأساليب المشروعة، كما وقفنا على دعائم الاتصال ووسائله زمن رسول الله ﷺ، التي أكدت لنا عظيم الجهود التي بذلها الرسول ﷺ وأصحابه في سبيل التبليغ والإعلام بالاسلام، عقيدة وشريعة وآدابا، وآثار ذلك في الجزيرة العربية وخارجها، كما بدت لنا وجوه النشاط الإعلامي واتساع رقعته، وامتداد آفاقه على الصعيد الفردي والجماهيري، وانتظامه ووضوحه، مما كان له أثر بعيد في انتشار الإسلام في الحواضر والبوادي. ووقفنا على المراكز الإعلامية الكثيرة في دولة الإسلام آنذاك، وعرفنا أهميتها ودورها الكبير في تخريج العلماء الذين كانوا مرجع الأمة، ودعامتها، بل معينها الذي تنهل منه، فيصدر عنهم طلابهم بما ارتووا وحملوا، فيؤدون الأمـانة، ويبلغون الرسالة، في حركة إعلامية لا يفتر لها نشاط، ولا تكلُّ منها همة، في ليل أو نهار، حارّة وقارّة، في منشط أو مكره، في عسر أو يسر، ويبلغ النشاط الإعلامي العام والخاص ذروته خلال القرن الهجري الأول، وتنتج ثمراته يانعة، وتتسع ميادينه فيما تلاه من القرون، ولاحظنا أهمية الرحلة في طلب العلم وأثرها البعيد في الاتصال على مختلف مستوياته.

وانتهينا بعد دراسة ظاهرة الوضع ومعرفة أسبابه ـ إلى أن الوضع في

الحديث النبوي لم يكن له أثر في صدر الإسلام، ولم يثبت لنا شيء منه في القرن الأول، ولم يشتد عوده إلا بعد القرنين الثاني والثالث، لأن أسبابه لم تكن قد قويت قبلهما، ومع كل هذا لم يَدَّخر العلماء وسعاً في سبيل التثبت للحديث النبوي، وبيان أحوال الرواة والمتهمين بالكذب ووضع الحديث، والثقات والمقبولين، وبينوا الصحيح من غيره، حتى عرف المفتري منه عند الخاصة والعامة، وأمام هذه الحقائق ظهر زيفُ الادعاءات الباطلة، كما تجلى لنا أن الإسلام لم يعتمد الدعاية بمفهومها المعاصر، ولم يعتمد على الشعارات البراقة. . وآثارها في الايحاء إلى الناس. . . ليحقق ما يريد. . ، كما ثبت لنا أن أولي الأمر في صدر الإسلام، وفي القرن الهجري الأول ـ على أقل تقدير ـ لم يستغلوا الحديث النبوي في دعاياتهم السياسية وتحقيق أهدافهم، وأنه لم يثبت قط أن بعض أولي الأمر قد اشترى ضمائر العلماء والفقهاء، واتضح لنا بالأدلة سمو علمائنا ورفعتهم، وقوتهم في الحق، وابتلاؤهم في سبيله، كما تجلى لنا تحامل المستشرق (جولد تسيهر) على الخليفة عبدالملك بن مروان، وعلى الإمام ابن شهاب الزهري، ولم يثبت شيء في حقهما مما أثاره من تهم ضدهما، بما سقناه من أدلة نقلية وعقلية ـ لا تحتمل التأويل ـ تدحض دعواه، وتفند افتراءاته. .

وتلاشت تلك الهالة الكبيرة التي اصطنعها أو تخيلها بعض الكاتبين حول القصاص ومكانتهم في المجتمع الإسلامي في صدر الإسلام، من الناحية الاجتماعية والوظيفية والسياسية، بما سلطنا عليهم من أنوار كاشفة انبثقت من مواقف العلماء وأولي الأمر والعامة من القصاص، فعرَّت حقيقتهم، فلم يتجاوزوا منزلة الظرفاء، أو مكانة بعض المتكسبين الذين يتألفون قلوب العامة والجهال لينالوا عطاياهم. . . وتهافتت دعوى أن بعض القصاص قد بلغ مرتبة وزير العدل ووزير الإعلام في هذا العصر. .

وتبين لنا في آخر المطاف أن القصص - وإن وجد - لم يُلَبِّسْ على المسلمين أمر دينهم، ولم يفسد حديث نبيهم ﷺ، ولم يشوه التاريخ الإسلامي بفضل يقظة الأمة، ونشاط علمائها واتباعهم المنهج العلمي - الذي سبقوا العالم في تطبيقه وارساء قواعده - في نقل أخبار السلف إلى الخلف، وبيان كل ما يتعلق بأمور دينها ودنياها، بفضل الله تعالى الذي حفظ سنة رسوله ﷺ المبينة لأمر دينه، المفصلة لكتابه، بما قيض لها من علماء جهابذة، وأئمة حفاظ أعلام، من لدن الرسول ﷺ مصداقاً لقوله سبحانه وتعالى: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾.

والحمد لله رب العالمين

تم الكتاب بعون الله وتوفيقه

محمد عجاج الخطيب

المصادر والمراجع

١ ـ القرآن الكريم.

٢ ـ أبو هريرة راوية الإسلام: الدكتور محمد عجاج الخطيب الطبعة الثالثة ـ مكتبة وهبه مصر ٨٢م.

٣ ـ أخبار القضاة: وكيع بن خلف طبع بيروت.

٤ ـ الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى: لأبي العباس أحمد بن خالد الناصري طبع الدار البيضاء سنة ١٩٥٤.

٥ ـ الاصابة في تمييز الصحابة: لشهاب الدين أحمد بن علي (ابن حجر) العسقلاني طبع بيروت.

٦ ـ أصول الحديث: د محمد عجاج الخطيب الطبعة الرابعة دار الفكر بيروت ١٩٨١.

٧ ـ الأعلام: لخير الدين الزركلي طبع بيروت.

٨ ـ الإعلام في صدر الإسلام: للدكتور عبداللطيف حمزه طبع القاهرة ١٩٧٨.

٩ ـ إعلام الموقعين عن رب العالمين: لشمس الدين محمد بن أبي بكر (ابن قيم الجوزية) تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد الطبعة الأولى مطبعة السعادة مصر ١٣٧٤هـ ـ ١٩٥٥م.

١٠ ـ الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ لمحمد بن عبدالرحمن السخاوي طبع دمشق ١٣٤٩هـ.

١١ ـ الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث (للحافظ ابن كثير): لأحمد محمد شاكر طبع محمد علي صبيح وأولاده. القاهرة الطبعة الثانية ١٣٧٠ ـ ١٩٥١.
١٢ ـ البداية والنهاية لأبي الفداء عماد الدين اسماعيل (ابن كثير) مطبعة السعادة القاهرة ١٣٥١هـ ـ ١٩٣٢م.
١٣ ـ تأويل مختلف الحديث: لعبدالله بن مسلم (ابن قتيبة الدينوري) مطبعة كردستان العلمية بمصر ١٣٢٦هـ.
١٤ ـ تاريخ الإسلام: للدكتور حسن ابراهيم حسن مطبعة لجنة البيان العربي القاهرة الطبعة الرابعة ١٩٥٧م.
١٥ ـ تاريخ الأمم والملوك: لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري طبع مصر ١٣٥٧هـ ١٩٣٩م.
١٦ ـ تاريخ بغداد: لأبي بكر أحمد بن علي (الخطيب البغدادي) طبع مصر ٣٤٩هـ ـ ١٩٣١م.
١٧ ـ تاريخ دمشق: لعلي بن الحسن هبة الله (ابن عساكر) مخطوط دار الكتب المصرية.
١٨ ـ تاريخ داريا: للقاضي عبدالجبار بن عبدالله الخولاني بتحقيق سعيد الأفغاني دمشق. المجمع العلمي ١٩٥٠.
١٩ ـ تاريخ الدولة العربية: للمستشرق يوليوس فلهوزن تحقيق الدكتور محمد عبدالهادي أبو ريده والدكتور حسين مؤنس طبع مصر ١٩٥٨م (رجعنا إليه للرد عليه).
٢٠ ـ التاريخ الصغير: للإمام محمد بن اسماعيل البخاري طبع الهند ص١٣٢٥.
٢١ ـ التبشير والاستعمار في البلاد العربية: للدكتور مصطفى الخالدين والدكتور عمر فروخ الطبعة الثانية ١٩٥٧ المكتبة العصرية صيدا.

٢٢ ـ تحذير الخواص من أكاذيب القصاص: للحافظ جلال الدين السيوطي تحقيق محمد الصباغ. المكتب الإسلامي بيروت ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م.
٢٣ ـ تدريب الراوي: لجلال الدين السيوطي بتحقيق عبدالوهاب عبداللطيف مكتبة القاهرة مصر الطبعة الأولى ١٣٧٩هـ ـ ١٩٥٩م.
٢٤ ـ تذكرة الحفاظ: لشمس الدين أبي عبدالله محمد بن أحمد الذهبي ط الهند ١٣٣٣هـ.
٢٥ ـ الترغيب والترهيب: للحافظ الشيخ زكي الدين عبدالعظيم المنذري بتحقيق مصطفى عماره سنة ١٣٥٢هـ مصر مصطفى البابي الحلبي.
٢٦ ـ التفسير والمفسرون للدكتور الذهبي طبع مكتبة القاهرة الحديثة مصر.
٢٧ ـ تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة لعلي (ابن عراق) الكناني بتحقيق عبدالوهاب عبداللطيف طبع مكتبة القاهرة ١٣٧٨هـ.
٢٨ ـ تهذيب التهذيب: لابن حجر العسقلاني الطبعة الأولى حيدر آباد الهند ١٣٢٥هـ.
٢٩ ـ جامع بيان العلم وفضله, لأبي عمر يوسف بن عبدالبر مصر ادارة المطبعة المنيرية.
٣٠ ـ الجامع الكبير: للسيوطي ١٩٧٨ الهيئة المصرية العامة للكتاب.
٣١ ـ الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع: للحافظ المؤرخ أبي بكر أحمد ابن علي الخطيب البغدادي، تحقيق د. محمد عجاج الخطيب (لدى المجمع العلمي في بغداد).
٣٢ ـ الجرح والتعديل: لعبدالرحمن بن أبي حاتم الرازي طبع الهند ١٣٧١هـ ـ ١٩٥٢م.
٣٣ ـ جمع الفوائد من جامع الأصول ومجمع الزوائد: للامام محمد بن محمد ابن سليمان المكتبة العلمية ـ المدينة المنورة ١٣٨١هـ ـ ١٩٦١م.
٣٤ ـ حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة: لجلال الدين السيوطي

المطبعة الشرفية سنة ١٣٢٧هـ.
خطط المقريزي = المواعظ والاعتبار.
٣٥ ـ روائع من أدب الدعوة في القرآن والسنة: لأبي الحسن الندوي ـ لكنهو الهند.
٣٦ ـ سبل السلام: لمحمد بن اسماعيل الأمير الصنعاني طبع مصر ـ مصطفى البابي الحلبي.
٣٧ ـ سنن أبي داود: للإمام أبي داود بتحقيق الشيخ محمد محيي الدين عبدالحميد المكتبة التجارية ١٣٦٩هـ-١٩٥٠م. وطبعة مصر١٣٦٩ .
٣٨ ـ سنن الترمذي = تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي: للحافظ محمد عبدالرحمن المباركفوري بعناية عبدالرحمن محمد عثمان. المكتبة السلفية المدينة المنورة.
٣٩ ـ سنن الدارمي: لأبي محمد عبدالله بن عبدالرحمن الدارمي. مطبعة الاعتدال بدمشق ١٣٤٩هـ.
٤٠ ـ السنة قبل التدوين: د. محمد عجاج الخطيب دار الفكر بيروت ومكتبة وهبه القاهره.
٤١ ـ السنة ومكانتها من التشريع الإسلامي: للدكتور مصطفى السباعي دار العروبة ـ القاهرة ١٣٨٠هـ ـ ١٩٦١م.
٤٢ ـ سير أعلام النبلاء: لشمس الدين الذهبي (الأجزاء ١و٢و٣) طبع دار المعارف بالقاهرة، وبقية الأجزاء مخطوطة دار الكتب المصرية.
٤٣ ـ السيرة النبوية: لعبدالملك بن هشام بتحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد. المكتبة التجارية. القاهرة ١٣٥٦هـ ـ ١٩٣٧م.
٤٤ ـ شرح نهج البلاغة: لعز الدين أبي حامد الشهير بابن أبي الحديد. تحقيق نور الدين شرف الدين، والشيخ محمد خليل الزين، بيروت دار الفكر.

٤٥ ـ صحيح مسلم: للامام مسلم بن الحجاج النيسابوري بتحقيق محمد فؤاد عبدالباقي. طبع دار إحياء الكتب العربية القاهرة ١٣٧٥هـ ـ ١٩٥٦.
٤٦ ـ طبقات علماء أفريقيا لأبي العرب محمد بن أحمد بن تميم التميمي (تحقيق ونشر الشيخ محمد بن أبي شنب). طبع الجزائر ١٣٣٢هـ.
٤٧ ـ الطبقات الكبرى: لمحمد بن سعد كاتب الواقدي. مطبعة بريل ـ ليدن ١٣٢٢هـ.
٤٨ ـ الغارة على العالم الإسلامي: لـ (ا. ل شاتليه)ترجمة مساعد اليافي ومحب الدين الخطيب طبعة القاهرة ١٣٥٠هـ.
٤٩ ـ غوطة دمشق: لمحمد كرد علي. المجمع العلمي دمشق ١٩٥٢م.
٥٠ ـ فتح الباري شرح صحيح البخاري: لشيخ الإسلام أحمد بن علي (ابن حجر) العسقلاني. مصطفى البابي الحلبي. القاهرة ١٣٧٨هـ ـ ١٩٥٩.
٥١ ـ فتح القدير الجامع بين الرواية والدراية من علم التفسير: للامام محمد ابن علي الشوكاني. ط الثانية. مصطفى البابي الحلبي القاهرة ١٣٨٣هـ.
٥٢ ـ فتوح مصر وأخبارها: لعبدالرحمن بن عبدالله (ابن عبدالحكم) طبع ليدن ١٩٢٠م.
٥٣ ـ فجر الإسلام: لأحمد أمين. نهضة مصر. القاهرة الطبعة السابعة ١٩٥٩م.
٥٤ ـ قبسات من هدي النبوة: للدكتور محمد عجاج الخطيب دار الفكر دمشق ـ بيروت ١٩٦٧.
٥٥ ـ الكامل في التاريخ: لعلي بن محمد عزالدين (ابن الأثير) الجزري

المطبعة المنيرية القاهرة ١٣٤٨هـ.
٥٦ ـ الكفاية في علم الرواية: للخطيب البغدادي طبع الهند ١٣٥٧هـ.
٥٧ ـ اللآلىء المصنوعة في الأحاديث الموضوعة: لجلال الدين السيوطي ط مصر ١٣١٧هـ.
٥٨ ـ لمحات في المكتبة والبحث والمصادر: للدكتور محمد عجاج الخطيب ط السابعة مؤسسة الرسالة ١٩٨٢.
٥٩ ـ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: لنور الدين الهيثمي. طبع القدسي بالقاهرة ١٣٥٣هـ.
٦٠ ـ مجموعة الوثائق السياسية: للدكتور محمد حميدالله الحيدر آبادي. لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة سنة ١٩٥٨م.
٦١ ـ المحدث الفاصل بين الراوي والواعي: للقاضي الحسن بن عبدالرحمن الرامهرمزي تحقيق الدكتور محمد عجاج الخطيب دار الفكر بيروت ١٩٧١م.
٦٢ ـ مختصر تفسير ابن كثير: للشيخ محمد علي الصابوني. دار القرآن الكريم.
٦٣ ـ المستدرك على الصحيحين: لأبي عبدالله النيسابوري الحاكم حيدر آباد: ١٣٤١هـ.
٦٤ ـ مسند أحمد: للإمام أحمد بن حنبل الشيباني. تحقيق أحمد محمد شاكر طبع دار المعارف.
٦٥ ـ المصباح المضيء لمحمد بن علي الأنصاري مخطوط ـ مكتبة الأوقاف بحلب.
٦٦ ـ معرفة علوم الحديث: لأبي عبدالله محمد بن عبدالله (الحاكم) النيسابوري. دار الكتب المصرية ١٩٣٧.
٦٧ ـ المغازي الأولى ومؤلفوها: للمستشرق يوسف هورفتس. ترجمة حسين

نصار مصطفى البابي الحلبي القاهرة.
٦٨ ـ مقدمة في أصول التفسير: لشيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن عبدالحليم (ابن تيميه). المطبعة السلفية بالقاهرة ١٣٧٠هـ.
٦٩ ـ المنار: لأبي عبدالله محمد بن أبي بكر (ابن قيم الجوزية) مطبعة السنة المحمدية القاهرة.
٧٠ ـ المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار: لأحمد بن علي بن عبدالقادر المقريزي طبع القاهرة ١٢٧٠.
٧١ ـ ميزان الاعتدال: للحافظ شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي. بتحقيق علي محمد البجاوي الطبعة الأولى بالقاهرة سنة ١٣٨٢هـ.
٧٢ ـ نور اليقين: لمحمد الخضري طبع دار الأدب العربي القاهرة الطبعة الثانية عشرة سنة ١٣٧٤هـ ـ ١٩٥٥م.
٧٣ ـ الوجيز في علوم الحديث: للدكتور محمد عجاج الخطيب. جامعة دمشق ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م.

فهرس الموضــوعات

للمؤلف

١ ـ زيد بن ثابت الأنصاري نفد دمشق ١٣٧٩هـ ـ ١٩٥٩م.
٢ ـ أبو هريرة راوية الإسلام الطبعة الثالثة مكتبة وهبه القاهرة ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م.
٣ ـ السنة قبل التدوين الطبعة الخامسة دار الفكر بيروت ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م .
٤ ـ أصول الحديث علومه ومصطلحه الطبعة الرابعة دار الفكر بيروت ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م.
٥ ـ قبسات من هدي النبوة الطبعة الخامسة دار الفكر بيروت ١٤٠١هـ ١٩٨١م.
٦ ـ لمحات في المكتبة والبحث والمصادر الطبعة السابعة مؤسسة الرسالة ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م.
٧ ـ المحدث الفاصل بين الراوي والواعي للقاضي الرامهرمزي تحقيق عن أربع نسخ خطية نشر لأول مرة بدار الفكر بيروت ١٣٩١هـ ـ ١٩٧١م.
٨ ـ الموجز في أحاديث الأحكام جامعة دمشق ١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م.
٩ ـ الوجيز في علوم الحديث ونصوصه جامعة دمشق ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨ .
١٠ ـ الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي لدى المجمع العلمي العراقي منذ عام ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م.
١١ ـ المختصر الوجيز في علوم الحديث مؤسسة الرسالة ١٤٠٥هـ ـ

١٩٨٥م.

١٢ ـ نظام الأسرة في الإسلام بالاشتراك مع بعض الاساتذة مكتبة الفلاح الكويت ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

١٣ ـ أضواء على الاعلام في صدر الإسلام مؤسسة الرسالة ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

قريبا ـ المفيد في تخريج الحديث ودراسة الأسانيد.

تطلب جميع منشوراتنا من:

الشركة المتحدة للتوزيع

بيروت - شارع سوريا - بناية صمدي وصالحة

هاتف: [illegible] ص.ب: [illegible] برقياً: بيوشنتاد